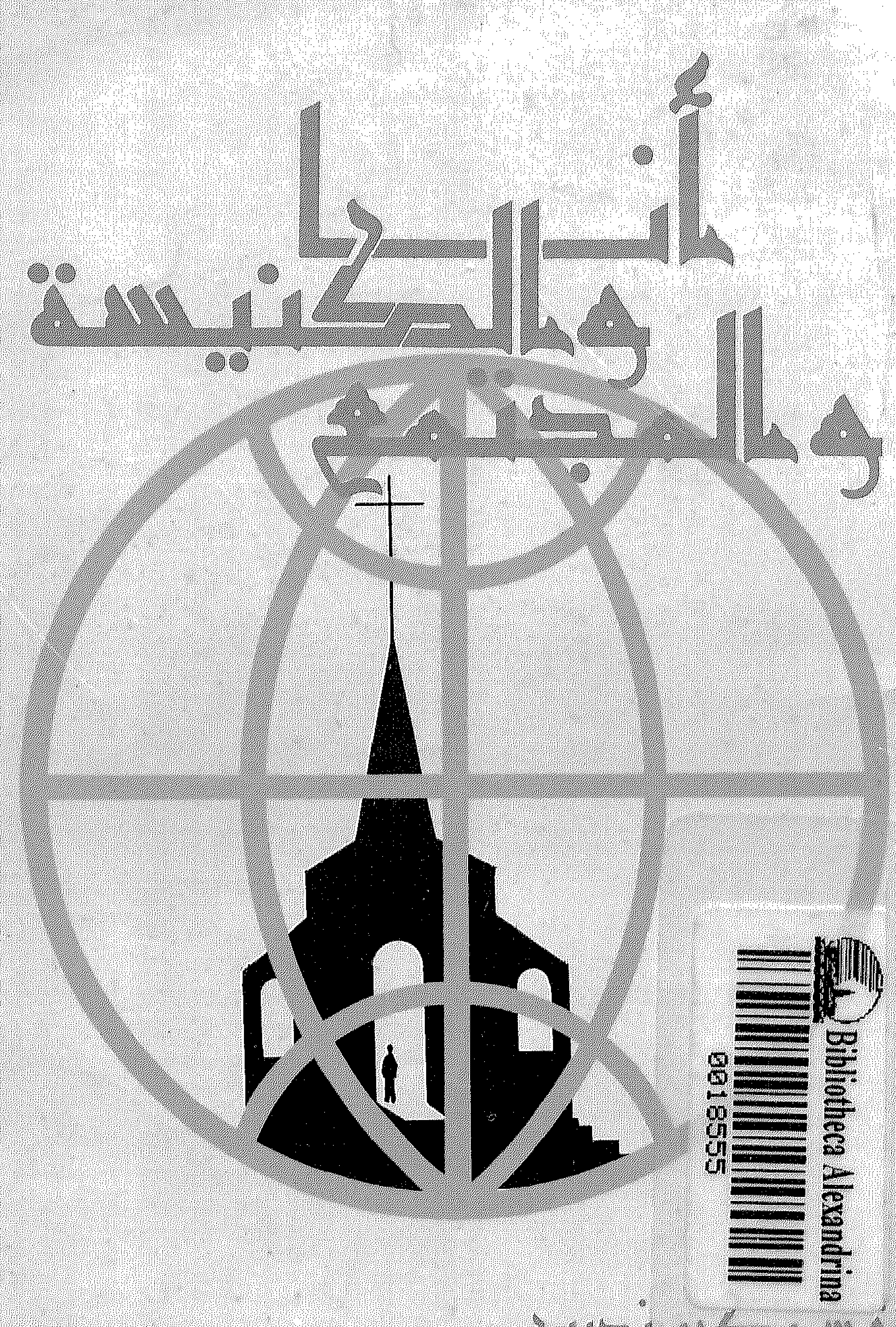
أنا والكنيسة والمجتمع



لمعي مكرم نجيب

كتب للشباب

كتب للشباب

أنا والكنيسة والمجتمع

القس مكرم نجيب



صدر عن دار الثقافة ص ب ١٣٠٤ – القاهرة

١٠ / ٤٣٨ ط١ /٨٧/٥
رقم الايداع بدار الكتب : ٨٧/٢٢٢٣
طبع بمطبعة : دار نوبار للطباعة – شبرا – القاهرة

محتـــويات الكتاب

صفحـــة

هــذا الكتــاب

فى ذهن كل مسيحى – والشاب على وجه أخص – تساؤلات تحتاج إلى مناقشة وردود ليفهم الإنسان موقعه من كنيسته ، ومن موطنه ، وموقع الكنيسة من الوطن .

وهذا الكتاب محاولة جديدة جريئة للتصدى لهذه التساؤلات والرد عليها .

وميزة هذا الكتاب أنه غير مترجم عن مؤلف غربى ، لكن كاتبه قس شاب مصرى ، يعرف مشاكل مجتمعنا من واقع نشأته وعمله فهو يعيش مشكلاتنا ويتلاقى مع الناس فى خدمته اليومية .

لذلك فهو يناقش هذه القضايا من منطلق مسيحى مصرى .

والكتاب يعالج ثلاث قضايا هامة :

أنا والكنيسة ، ما موقعى منها وما التزامى نحوها ومدى ارتباطى بها .

والكنيسة ودورها العملى فى المجتمع .

ودور المسيحى فى حل قضايا المجتمع ومدى مشاركته فى العمل السياسى .

نقدم هذا الكتاب لك أيها القارىء العزيز لعلك تجد فيه ما يرد على كل تساؤلاتك .

دار الثقافة

مقدمـــــة

من فترة طويلة وأنا مشغول بالتفكير فى مفهوم الكنيسة كتابياً . وهذا الانشغال ناتج عن احساسى العميق بغيبة المفهوم الصحيح عن أجيالنا وأجيال الشباب من حولنا . وكلما مر الزمن وزاد الارتباط بالخدمة ، وتعمق الاحساس بالواقع الذى نعيش فيه فى الكنائس المحلية والكنيسة العامة ، كلما ألح على التفكير بشدة فى مفهوم الكنيسة ، وشعرت بضغط الاحتياج إلى إدراكه بوضوح لنفسى ، وللكثيرين من قطاعات الكنيسة المختلفة ، خاصة قطاعات الشباب .

وفى صيف عام ١٩٨٣ رتب الرب لى فرصة السفر لحضور مؤتمر فى بلدة صغيرة بولاية الينوى بالولايات المتحدة الأمريكية تسمى Wheaton والتى تسمى المؤتمر باسمها «Wheaton 83» . كان المؤتمر تابعا للرابطة الإنجيلية العالمية وكان شعار المؤتمر « أنا أبنى كنيستى » . وكانت الدراسات والمناقشات فى ذلك المؤتمر حول طبيعة الكنيسة ورسالتها وعلاقتها بالهيئات الأخرى التى تعمل بجانبها . وقد سعدت فى الواقع بالاحتكاك الفكرى بين الاتجاهات والجنسيات المختلفة حول هذا الموضوع الهام الذى يشغلنى . لكننى لضيق الوقت فى المؤتمر لم أشعر بأننى أخذت كل ما أحتاج اليه ، لكن فرصة المؤتمر أعطت شيئاً من الضوء كما أعطت مزيداً من الشغف والتطلع إلى الدراسة والقراءة فى هذا الموضوع .

وفى صيف ١٩٨٤ أقيم فى القاهرة مؤتمر آخر باسم Cairo 84 لدراسة نفس الموضوع ونفس الاتجاهات ، وبنفس المتكلمين الذين تحدثوا فى مؤتمر Wheaton 83 ، وكان المؤتمر يتميز بدقة التنظيم وعمق الدراسة . وقد ساعد

هذا المؤتمر على نمو ووضوح الأفكار ، كما ساهم أيضاً فى اشعال المزيد من النهم والتطلع فى داخلى إلى دراسة أكبر . وأظن أن هذا الشغف والتطلع والتحفز هو أهم ما تثيره مثل هذه المؤتمرات .

وفى عام ٨٤/٨٥ بدأت كنيستنا بمصر الجديدة دورة تدريبية لاعداد القادة لمدة عامين وفى العام الأول منها أوكل إلى المسئولين عنها مهمة تقديم دراسة عن مفهوم الكنيسة ورسالتها فى المجتمع على مدى ثلاث محاضرات . وقتها قدم لى صديق كتابا قيما عن هذا الاتجاه ضمن مجموعة كتب رائعة تسمى «I believe» . وكان الكتاب بعنوان «أنا أؤمن بالكنيسة لمؤلفه **David Watson** وهو يشتمل على ثلاثة أبواب فى حوالى الأربعمائة صفحة . وبعد أن تصفحت الكتاب وجدت فيه ضالتى المنشودة وبالفعل قدمت ملخصا للثلاثة أبواب فى الثلاث محاضرات . وقد ساعدنى هذا الكتاب بالذات — مع غيره من الكتب — فى محاولة فهم هذا الموضوع الكبير بعض الشيء . وأنا أقول بعض الشيء لأن البحث فى مثل هذه الاتجاهات لا حدود له ، كما أن عملية الإدراك فى حياة كل إنسان عملية نامية جارية متجددة لا تتوقف إلا بتوقف حياة الإنسان نفسه .

بعد ذلك فكرت أن أقدم فكرة واحدة رئيسية عن مفهوم الكنيسة من زواياها المتعددة للكنيسة ككل . بعدها بفترة قدمت دراسة أخرى عن الكنيسة والعمل الاجتماعى ثم الكنيسة والعمل السياسى . ولما طلبت منى بعض اجتماعات الشباب الحديث عن نفس الموضوعات فكرت أن أقدم هذه الدراسة المركزة للشباب خاصة وللكنيسة عامة على أنه ربما يأتى يوم أتمكن فيه من كتابة دراسة أشمل وأكبر بنعمة الله .

وسوف تكون الدراسة فى ثلاثة فصول الأول عن المفهوم الكتابى للكنيسة ، والثانى عن الكنيسة والعمل الاجتماعى ، والثالث عن الكنيسة والعمل السياسى . وسوف أضع فى أول كل فصل بعض الأسئلة التى شغلتنى ، وسأحاول الإجابة عليها أو على معظمها . على أنها موضوعة أصلا لتشكل

أساساً للحوار والمناقشة لمجموعات فى اجتماعات الشباب أو الكبار .

وترسبت هذه الأسئلة فى داخلى على مدار سنوات خدمتى ، من كثرة ما أراه حولى من ظواهر تدعو إلى الالتفات والتفكير والتدبر . وأنا أصلى أن تفتح أمام القارىء أبواب الحوار الإيجابى والجاد والمناقشة العميقة الموضوعية المخلصة ، لنصل معا إلى اقتناعات صحيحة نافعة .

المؤلف

الفصـــل الأول

المفهـوم الكتابى للكنيسـة

لمــاذا نـدرس هــذا الموضــوع الآن ؟

يجيب على هذا السؤال رجل الله المعروف الدكتور القس جون ستوت فيقول :

هناك سببان لأهمية موضوع الكنيسة :

السبب الأول ... أن الكنيسة هى جزء من الإنجيل (الخبر السار) ولو أن هذا أمر غير مفهوم عادة ، الا أنه حقيقى ، حيث أن شركة المؤمنين فى الكنيسة هى جزء من الأخبار السارة التى أعدها الله للإنسان . وهذا الأمر بالذات يضفى على الإنجيل إحدى مزاياه الرائعة ، لأن مفهوم الخلاص لا يعنى خلاص الإنسان من سلطان الخطية فحسب ، ولكن يشمل أيضاً خلاص الإنسان من وحدته ، فلم يكن قصد الله بحسب ما أعلن فى الكتاب المقدس ، خلاص أفراد منعزلين بعضهم عن بعض ، بل ليدعو لنفسه شعباً خاصا . وهذا الأمر هو فى الواقع الموضوع الأساسى للكتاب المقدس الذى نكتب عنه هذه الدراسة فى الصفحات التالية . فاذا رجعنا إلى الاصحاح الثانى عشر من سفر

التكوين نجد فيه دعوة الله لابراهيم والوعد المعطى له : « فاجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » . تك ١٢ : ٢ و ٣ . وكان قصد الله حينئذ هو أن يبارك العالم أجمع بدعوته شعبا لنفسه عن طريق نسل ابراهيم .

ولما جاء المسيح قال انه سوف يبنى (ينشىء) كنيسته . وقال انه توجد خراف أخر ليست من حظيرة اسرائيل أى من الأمم ينبغى أن تضم إلى الكنيسة « ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضا فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراع واحد » . يو ١٠ : ١٦ .

ويكتب الرسول بولس فى رسالته إلى تيطس قائلاً إن الغرض الذى من أجله مات المسيح وبذل نفسه نيابة عنا ، لم يكن فقط لكى يفتدينا من كل اثم ، بل أيضاً ليظهر لنفسه « شعبا خاصا غيوراً فى أعمال حسنة » . تى ٢ : ١٤ .

فليس هناك شك إذاً لدى أى دارس للكتاب المقدس بأن الكنيسة هى جزء من الإنجيل (الخبر السار) وجزء من قصد الله الأزلى أن يدعو لنفسه شعباً خاصاً « شعبا مفديا » .

والسبب الثانى .. لأهمية هذا الموضوع هو أن عدداً كبيراً جداً من الناس ، فى الوقت الحاضر يجهلون تماماً هذه الحقيقة ، فعندما قامت مؤسسة جالوب باجراء عملية استفتاء على مستوى شعبى عام ١٩٥٧ عن المعتقدات والممارسات الدينية للشعب البريطانى ، سألت ٢٢٥٠ شخصاً السؤال الآتى : هل تعتقد أنه لكى تكن مسيحيا يتحتم عليك الذهاب إلى الكنيسة ؟ .. فأسفرت اجاباتهم عن أن ٢٠٪ فقط أجابوا بالايجاب و ٨٠٪ منهم قرروا أن هذا غير مطلوب من الفرد المسيحى بتاتا .

وفى عام ١٩٦٥ أجريت نفس المؤسسة استفتاء نيابة عن التليفزيون البريطانى ونشر فى كتيب عنوانه « الدين والتليفزيون » ، وكانت نتيجته أنه ولو

أن ٩٤٪ من الشعب البريطانى يقرون أنهم ينتمون إلى طوائف مسيحية الا أن خمس هذا العدد فقط يدّعون بأنهم يترددون على الكنيسة فى معظم أيام الآحاد . ومما لا شك فيه أن هذا الأمر يكشف عن مدى الجهل بحقيقة أن الكنيسة هى جزء أساسى من الإنجيل . لدرجة أن البعض فى السنوات الأخيرة انشغل بالمنادة بعلاقة الإنسان الفردية بالله – ربما لإهمال الكنيسة أحياناً لدورها الكرازى – دون إدراك لأهمية ومكانة الكنيسة فى خطة الله الأزلية للإنسان .

أسئلة للحوار والمناقشة

١ – هل العلاقة مع الله علاقة شخصية فردية فقط ؟

٢ – هل المؤمن الذى اختبر عمل المسيح فى حياته ويستمتع بكلمته الحية والفعالة ، هل هذا المؤمن بحاجة إلى الكنيسة ؟ وهل يمكن إقامة علاقة صحيحة مع الرأس بدون علاقة مع الجسد ؟

٣ – وهل إذا اجتمعت جماعة من المؤمنين فى أحد البيوت للتعبد وأحياناً لممارسة فريضة العشاء الربانى ، هل هذه الجماعة تكون كنيسة ؟

٤ – ما هو المعنى المقصود من عبارة « شركة المؤمنين » ؟

٥ – هل يكون ضعف كنيسة من الكنائس روحيا وجمود فكرها ورسالتها ؟ دافعا للأفراد النامين الناضجين فيها إلى ترك كنيستهم والتقوقع فى اجتماعات خاصة ؟ أم إلى إدراك أعمق لمسئوليتهم ودورهم فى احياء العمل ونموه وتشجيعه ؟

٦ – ما هو موقف الرب يسوع من الكنيسة فى عصره ؟ وهل يمكن أن يشكل نموذجاً لنا ؟

٧ – وما هى بعض الأسباب التى تدفع بالبعض إلى ترك الكنيسة ؟

+ هل عجز الكنيسة عن تقديم التعليم المقنع والمشبع فكريا وروحيا؟

+ هل فشل الكنيسة فى احتواء أبنائها بكل الحب ؟

+ هل فشل الكنيسة فى إدارة حوار هادىء هادف معهم ؟

+ هل فشل الكنيسة فى الاستفادة منهم وتشغيلهم واستثمار طاقاتهم الكامنة والمختزنة ؟

+ هل موقف الكنيسة المتشنج والجامد والمسيطر ؟

+ هل موقف الكنيسة اللامبالى ؟

+ هل ضعف روح الشركة والمحبة فى الكنيسة ؟

+ هل انشغال الكنيسة وانغماسها بالاداريات والصراعات وبالتالى إهمالها للأولويات الروحية المركزية فى حياتها ، وعدم القدرة على متابعة أبنائها ؟

+ هل وجود فجوة بين الرعاة والشباب أو بين الأجيال داخل الكنيسة الواحدة ؟

+ هل تفشى الرياء داخل الكنيسة ؟

+ هل عدم اهتمام الكنيسة بمشكلات مجتمعها وكأنها دائرة مغلقة على نفسها ؟ أو كأن الكنائس عبارة عن أديرة إنجيلية ؟ وبالتالى عدم قيام الكنيسة برسالتها الكاملة وهى الكرازة بالإنجيل والعمل الاجتماعى لتنمية البيئة ؟

+ هل جمود طرق العبادة وتقليديتها فى نظامنا بحيث أصبحت عاجزة عن إشباع احتياجات مجتمعنا الشرقى المعاصر الحار شعوريا من ناحية والواقع تحت ضغوط هائلة وقلق دائم من ناحية أخرى ؟

+ هل هناك بعض الجماعات التى تستغل هذا المناخ وتشجع وتستفيد من روح عدم الانتماء ؟

٨ – ما هى بعض الدوافع التى تدفع بالأفراد إلى ترك الكنيسة ؟

+ هل اختلافات فكرية لاهوتية ؟

+ هل خلافات شخصية ؟

+ هل البحث عن تحقيق الذات ؟

+ هل وجود تنافس وروح زعامة ترفض العمل معا كفريق ؟

+ هل يوجد روح بر ذاتى ينظر نظرة تحقير إلى الآخرين ؟

+ هل عدم النضوج الروحى والفكرى والجرى وراء أى اتجاه جديد ؟

٩ - أين موقع الكنيسة فى خطة الله لخلاص الإنسان ؟ بمعنى هل هى جزء أصيل من خطة الله لخلاص الإنسان ، وبالتالى يتحتم الانتماء والانضمام اليها ليتمم الإنسان خلاصه ؟ أم هى مجرد « مكان » للترفيه للمؤمنين لا علاقة له بأمر خلاصهم ، وعلى هذا لا يتحتم الإنضمام اليها ؟

١٠ - ألا يكفى الحضور للعبادة والشركة وأحياناً الخدمة ؟ وماذا يعنى الانتماء الحقيقى للكنيسة أكثر من ذلك ؟

١١ - هل الانتماء إلى « اجتماع » من اجتماعات الكنيسة مثل اجتماعات الشباب أو السيدات .. الخ يغنى عن الانتماء إلى الكنيسة ؟

١٢ - هل هذا « الاجتماع » المشار اليه فى السؤال السابق يمثل الكنيسة التى هى « شعب الرب » الذى يتكون من كل الفئات والأعمار ؟

١٣ - هل اجتماعات وسط الاسبوع تكرار لاجتماع الكنيسة يوم الأحد أم لها هدف وفلسفة مختلفة ؟ واطار وبرامج وطرق وأساليب متميزة ؟ وهل هى مستقلة أم مكملة لخطة الكنيسة ؟

١٤ - ما هو تقييمنا للاجتماعات اللاطائفية ؟ وهل يجب أن تقوم اجتماعات لا طائفية أم اجتماعات للخدمة بين الطوائف ؟ وهذه الاخيرة هل تكون على هيئة اجتماعات منتظمة أسبوعياً ؟ أم على شكل أنشطة مختلفة

لتعميق الاتجاه المسكونى وروح المحبة والشركة بين الطوائف ؟

١٥ – هل يمكن للكنيسة أن تنهض برسالتها على أكمل وجه ، وأن تجدد رؤيتها باستمرار ، بدون مشاركة الطاقات العلمانية الهائلة ؟

١٦ – هل تقدم معى الشكر لله لأجل الانطلاقة العلمانية الرائعة الآن فى قطاعات الكنيسة المختلفة ؟ أم أن لك تقييماً آخر ؟

١٧ – هل ترى أن بعضا من قياداتنا العلمانية ، خاصة التى لها التأثير الواسع على مساحات وقطاعات كبيرة داخل الكنيسة ، بحاجة إلى إدراك واعى ودائم للمفهوم الجماعى للكنيسة كشعب الرب ؟

١٨ – وكيف تمارس هذه القيادات تأثيرها الطبيعى والايجابى وتقوم بخدمتها بحرية وبلا معوقات وفى شركة وانتماء حقيقى لكل الجسد ، دون أن تنزلق دون دراية إلى تشكيل « كيانات » محلية أو عامة ، تنتمى فعليا فى حياتها وخدمتها إلى هؤلاء « الأفراد » ؟

١٩ – كيف يمكن للكنيسة أن تحيا طبيعتها الغنية التى تجمع بين تنوع المواهب والخدم والشخصيات والاساليب وبين وحدة الجسد برباط السلام ؟

٢٠ – عندما نردد كلمة « كنيسة » ماذا نقصد بها ؟

+ هل المبنى والمكان الجغرافى؟

+ هل الإطار الإدارى ؟

+ هل الاجتماع الروحى لجماعة المؤمنين ؟

+ أم المعنى الكتابى الشامل الذى نحاول أن نراه فى هذه الدراسة ؟

العلاقة الجماعية

إن الفكرة الرئيسية الكتابية التى أريد أن أركز عليها فى كل الدراسة أن علاقة الله بشعبه فى كل الكلمة المقدسة هى علاقة جماعية ، علاقة الله مع جماعة الرب مع شعب الرب . دعونا إذن ندرس هذه الفكرة الرئيسية من أكثر من زاوية توضح المفهوم الصحيح للكنيسة كتابياً ...

فالكنيسة أولا : هى جماعة مدعوة .. كلنا نعلمْ أن الكلمة كنيسة سواء بالآرامية « كنشتا » أو بالعبرية « עדה » أو اليونانية اكليسيا » أو فى مفهومها فى المجتمع اليهودى عن طريق الترجمة السبعينية للعهد القديم קהל (قهل) .. بكل هذه اللغات تعنى : جماعة مدعوة ومؤهلة .. فاليهود كانوا يستعملونها فى اجتماع الشعب لسماع كلمة الله على فم موسى كما فى سفرى العدد والخروج . فهى إذن جماعة مدعوة لتصغى لكلمة الله . واليونان كانوا يستخدمونها أصلا بمعنى سياسى ، فالكلمة تعنى الجسم الحاكم للمدينة أى كل مواطن له حق التصويت . وهؤلاء المواطنون يدعون فى مكان وزمان محددين للمشاركة بالرأى . إذن الكنيسة هى الجماعة التى قبلت الرب يسوع كمخلص وسيد وهى تجتمع فى مكان معين وزمان محدد لتصغى لصوته . **فالكنيسة هنا جماعة مدعوة لعلاقة شخصية مع الله** وقبلت الدعوة ودخلت فى هذه العلاقة معه . **وهى جماعة مدعوة معا** لتمارس معا علاقتها بالله وبالآخرين ، وهنا نجد فكرة الجسد المترابط معا ، وفكرة الشركة التى تربط وتجمع الشعب الجماعة بالرب وببعضهم البعض . هذه الشركة نجد لها عبارات مختلفة فى الكتاب مثل شركة ميراث القديسين فى النور « كو ١ : ١٢ ، ١٣ » وهى عبارة مرتبطة بفكرة الميراث فى العهد القديم فى تك ١٣ : ١٤ — ١٧ ، عد ٢٦ : ٥٢ — ٥٦ ، ٣٤ : ٢ و ١٣ ، تث ٣٢ : ٩ ، يش ١٩ : ٩ ويستخدم الرسول بولس الفكرة بغناها الروحى فى أعمال ٢٦ : ١٨ ، أف ٣ : ٣ — ٦ . وعبارة شركة جسد ودم المسيح « ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٢٦ و ٢٩ » وهنا

نجد العشاء الربانى الذى يربط الجماعة الشعب بالرب وببعضهم البعض . ثم عبارة « شركة الروح القدس» ١ كو ١٢ : ٧ و ١١ – ١٤ الذى يعمق الشركة والانسجام ويحرك الكنيسة والخدام أع ١٣ : ١ – ٤ . داخل هذه الجماعة المدعوة معا ، داخل هذه الوحدة والشركة نجد العلاقة المثلثة : الكلمة ، الروح ، الكنيسة . فالكلمة بدون الروح بلا قوة ، والروح بدون الكلمة تأثيرات عاطفية غير مأمونة العواقب ، والكنيسة المدعوة معا هى التى تقيم هذه العلاقة المثلثة الصحيحة لعمل الروح من خلال الكلمة والتعليم داخل دائرة الكنيسة . **وهى جماعة مدعوة معا لميراث** لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل فهى تحيا بروح الرجاء والانتظار والتجديد والرؤيا المستقبلية .

الكنيسة **ثانيا** : هى شعب الرب .. هذا التعبير يرتبط باستمرار بفكرة ملكوت الله ... وملكوت الله يعنى حكم الله وسلطانه على البشر والملكوت يحتاج إلى ملك ، ولقد جاء الملك يعلن طريق الملكوت فى مر ١ : ١٤ و ١٥ اذ « جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » . جاء المسيح المخلص والملك يعلن مجيء الملكوت وكيفية اعداد الناس عن طريق التوبة والإيمان بالإنجيل للتمتع به . هنا نرى ان ملكوت الله الذى جاء المسيح ليقيمه مرتبط بهدف كبير سيادة الله وخلاص الله . وهذه الكلمات سيادة الله وخلاص الله – كلمات علاقية . بمعنى تعبر عن علاقة الله كملك وسيد ومخلص بالشعب ، بالمؤمنين ومن هنا جاءت الكنيسة التى وجدت جذورها فى ملكوت الله كوكيلة له وممثلة له : وعلامة وشهادة لهذا الملكوت أرسلها الرب يسوع إلى العالم لتوضح للعالم الطريق إلى الملكوت . فالملكوت هو نقطة البداءة للكنيسة وهو الهدف النهائى فى نفس الوقت إلى أن يأتى الملك ثانية ويكتمل ملكوته . فالكنيسة إذن هى جزء أصيل من خطة الله للخلاص .

ثالثاً : الكنيسة هى جماعة العهد .. قلنا إن الكنيسة جزء أصيل من خطة الله للخلاص كيف ؟ خلق الله الإنسان على صورته ليمثله ويدير العالم .. ولكن

دخلت الخطية وبالتالى الفساد إلى الإنسان . وهنا بدأ الله خطته الأزلية فى تحقيق هدفه للإنسان من خلال العهد الذى قطعه مع شعبه مع ابراهيم تك ١٥ : ١٨ كدرجة أولى (قارن غل ٣ : ١٥ - ٢٢) وتك ١٧ كدرجة ثانية من العهد ، ثم مع موسى من خلال الناموس الذى جاء فى إطار فدائى خر ١٩ : ١٦ فداء جسدى من مصر يرمز إلى الفداء الروحى الكبير فى المسيح . لكن الناموس لم ينجح بل أدى إلى ازدياد الخطية رو ٧ : ٧ - ٢٧ ثم جاء المسيح ليتمم هدف العهد ليتمم الخلاص رو ٨ : ٢٩ ، أف ١ : ٥ - ١٠ ، كو ١ : ٢٠ .. الخ . كان شعب الرب القديم فى خر ١٩ : ٥ و ٦ وفى المسيح جاءت الكنيسة شعب الرب الجديد ابتداء من الرسل فى ١ بط ٢ : ٩ كجنس مختار وكهنوت ملوكى وأمة مقدسة وشعب اقتناء . نعم جاءت الكنيسة فى المسيح كخطة الله لخلاص الإنسان أع ٢ : ٤٧ . فالخلاص ليس معناه الخلاص من الخطية فقط بل خلاص الإنسان من وحدته أيضاً ليحيا وسط أولاد الله عائلة الله المقدسة فيجد فيها الشركة والنمو والبناء والتعليم .. الخ .

رابعاً : الكنيسة كجماعة مختارة .. فعندما اختار الله شعبه منذ الأزل اختارهم كجماعة . وأقام عهده معهم - كما رأينا - كجماعة يو ١٥ : ١٦ أف ١ : ٤ ، رو ٨ : ٢٨ و ٢٩ ، ٢ بط ١ : ١٠ ، ٢ تس ٢ : ١٣ . لقد اختار الرب الكرمة القديمة لكنها أعطت ثمراً رديئاً . فجاء المسيح الكرمة الحقيقية والكنيسة كأغصان ثابتة يو ١٥ : ١ - ١١ فأنا كشخص مختار داخل الجماعة ، والكنيسة كجماعة مختارة فى المسيح . ولقد شبه البعض الكنيسة كحزمة داخلها المسيح تى ٢ : ١٤ ، أف ٢ : ١٩ - ٢٢ . ولقد يرى البعض تناقضاً بين هذه الفكرة وبين ما جاء فى رو ٩ : ١١ - ١٣ ولكن هذا التناقض الذى يراه البعض تناقض ظاهرى ، اذ يجب أن يفهم النص فى رو على ضوء ملا ١ : ٢ - ٥ . ولكن الالقاب والصور التى وردت فى الكتاب عن الكنيسة تشير إلى هذا المفهوم الجماعى مثل أمة ، شعب ، بيت ، بناء ، هيكل ، كرمة ، جسد ، جنس ، مملكة كهنة .. الخ . وهكذا نجد أكثر من ١٠٠ صورة فى العهد الجديد للكنيسة بهذا المفهوم وكل صورة تقدم دائماً وحتما

علاقة مثلثة : الرب المؤمن ، الكنيسة . فالمؤمن الذى يرتبط بالرب يرتبط بالكنيسة التى هى جسد الرب بلا استقلالية وبلا استعلاء أو انطواء .

خامسا : الكنيسة جماعة منظمة .. فعندما بدأت جماعة المؤمنين فى النمو تكونت الكنائس المحلية المنظمة فى كل مكان من خلال الرسل . وهنا جاءت الكلمة اليونانية (كرياكون) أى الإطار الادارى المنظم . وجاء الرسول بولس ليعلن ذلك بكل وضوح أن الكنيسة كجماعة مؤمنين فى كل العالم تشكل ما نسميه الكنيسة غير المنظورة . ولكن الكنيسة المنظورة هى التى تعبر عنها . والكنيسة المنظورة فى فكر الرسول بولس هى الكنيسة المحلية . هى الكيان القائم المرتبط بمكان معين رو ١٦ : ١ ، كو ٤ : ١٦ ، غل ١ : ٢ و ٢٢ فى هذه الشواهد يشير الرسول إلى كنائس محلية منظمة تتميز باجتماعات منتظمة أ ع ٢ : ٤١ و ٤٢ ، ٢٠ : ٧ ، ١ كو ١٦ : ١ ، ٢ ولها خدام من قسوس وأساقفة وشيوخ وشمامسة فى ١ : ١ ، أ ع ٢٠ : ١٧ ، ١ تى ٣ : ١ – ١٣ ، ١ تى ٥ : ١٧ ، تى ١ : ٥ ، مت ١٨ : ١٥ – ١٧ ، أ ع ٢ : ٤٧ ، ٤ : ٤ ، ٥ : ١٤ ، ٦ : ٧ ، ٩ : ٣١ ، ١١ : ٢١ و ٢٤ : ١ ، ١٦ : ٥ ، ١٧ : ٤ ، ١٨ : ١٨ . واجتماع الكنيسة المحلية المنظمة مرتبط بيوم الرب حيث كانت عادة يسوع لو ٤ : ١٦ والرسل أ ع ٣ : ١ ، ١٣ : ١٤ ورؤيا ١ : ١٠ . وفى يوم الرب فى الكنيسة المحلية يمارس العشاء الربانى أ ع ٢٠ : ٧ . وهذا هو المفهوم الذى نادى به زعماء الاصلاح للدرجة التى قال فيها كلفن : من لا يقبل أن تكون الكنيسة أماماً له ، لا يمكن أن يكون الله أبا له .

سادساً : الكنيسة – كجماعة مدعوة ، كشعب الرب ، كجماعة العهد ، كجماعة مختارة ، كجماعة منظمة ، – هى جماعة مرسلة للخدمة . والخدمة ميدان مهم لنمو المؤمن ، فمن خلالها يعبر عن محبته للرب ويعمل لاتيان ملكوته .. وخدمة الكنيسة تقوم على طبيعتها المزدوجة . الأولى كجسد أف ٤ : ١١ – ١٣ وهنا نجد طبيعة الكنيسة كجسد مقدس كجماعة مقدسة . هنا نجد خدمة البناء الداخلى من اجتماعات ، وتعاليم ، ودراسة الكلمة ،

وأنشطة .. الخ وهنا نجد الوحدة فى التنوع تنوع التخصصات والمواهب لخدمة البناء . والطبيعة الثانية للكنيسة انها مملكة كهنة ١ بط ٢ : ٥ و ٩ وهنا نجد عالمية الكنيسة أى ارسالية الكنيسة الخارجية للعالم للشهادة والكرازة وأعمال الرحمة . فالكنيسة إذاً هى الإطار الشرعى الحقيقى لخدمة البناء داخلياً ، وهى المنطلق الشرعى الصحيح للارسالية للعالم خارجياً .

سابعاً : عندما يتحدث الكتاب المقدس عن النمو ، يتحدث عن نمو الجماعة معا كجسد الرب . نعم نحن نجد مكانا هاما للنمو الشخصى للمؤمن ، ولكن هذا المكان يجد صحته وأهميته فى داخل فكرة النمو الجماعى للكنيسة . ألم يذكر الرسول بولس مراراً فكرة الكنيسة كجسد ؟ إذاً كيف نتخيل أن ينمو عضو ما فى الجسد هكذا وحده بمفرده دون نمو باقى الاعضاء مجتمعة ؟ ! ! وكيف نتصور شكل هذا الجسد ؟ هل نرى بناء صحيحاً أو شكلاً متناسقاً متكاملاً ؟ ! ! أم نرى جثة هامدة تخرج منها بعض النتوءات البارزة الخالية من الحياة الكاملة والجمال الناضج ؟ بل كيف ينمو عضو بعيداً عن الجسد ؟ هل يصله الغذاء ؟ لذا علينا أن ندرك ما قصده الرسول بفكرة الجسد ، بعلاقته الصحيحة بالرأس ، من تنوع الاعضاء واختلافها وتكاملها فى دورها الوظيفى ، ومن وحدة الجسد العضوية الكاملة ، ومن التزام كل عضو ببناء الأعضاء الأخرى ونموها . وأكتفى بأن أشير إلى ما يؤكد ويعمق هذا المعنى فى حديث الرسول إلى كنائس رومية وكورنثوس وأفسس إذ يقول بلغة الجماعة : « فانه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الاعضاء لها عمل واحد . هكذا نحن الكثيرين لنا جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر . رو ١٢ : ٤ ، ٥ » « لانه كما ان الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هى جسد واحد كذلك المسيح أيضاً . لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهودا كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحا واحداً . فإن الجسد أيضاً ليس عضواً واحداً بل أعضاء كثيرة . وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً . ١ كو ١٢ : ١٢ — ١٤ ، ٢٧ » .

« وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين . لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله . إلى انسان كامل . إلى قياس قامة ملء المسيح . كى لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال . بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شيء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح . الذى منه كل الجسد مركبا معا ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة . أف ٤ : ١١ – ١٦ » .

من خلال هذا المفهوم الكتابى للكنيسة كجماعة كشعب الرب نجد ان الانضمام للكنيسة حتمية كتابية لاهوتية يفرضها الفكر الكتابى بطريقة لا تدع مجالا للشك أو اللبس أو الغموض أو التساؤل أو التردد . وفى نفس الوقت يقضى على كل الاتجاهات المتطرفة أو المنحرفة التى أشرنا اليها فى مقدمة هذه الدراسة .. لقد كان الرب ــ ومازال – يضم إلى الكنيسة كل يوم الذين يخلصون بمعنى أن الرب يقوم بعمليتين كوجهين لحقيقة واحدة ان كل من قبل الرب يسوع مخلصا شخصياً له ، عليه أن يقبل عمل الرب . فى جهة أخرى هو أن يضمه إلى الكنيسة .. والا كيف يتمم المؤمن خلاصه بخوف ورعدة ، وكيف يجد كل مؤمن وجوده الحقيقى داخل شعب الرب .

الجماعات المنفردة والمستقلة عن الكنيسة ومكانها فى العبادة

أســـــئلة :

١ – إذا اتفقنا على هذا المفهوم الجماعى الشامل للكنيسة ، هل يعنى هذا أننا نرفض أن يجتمع بعض المؤمنين فى البيوت للصلاة ، أو لدراسة الكلمة ، أو للتخطيط للخدمة ، أو لتعميق المحبة ؟ وكيف نمارس شركة المؤمنين إذن ؟

٢ – أين موقع اجتماعات المؤمنين الأوائل لكسر الخبز فى البيوت أ ع ٢ : ٤٦ من هذا المفهوم الكتابى الشامل للكنيسة ؟

٣ – ما المقصود بكلام المسيح فى مت ١٨ : ٢٠ « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم » . وألا يكفى حضور المسيح نفسه وسط الجماعة فى البيت ؟

٤ – كيف يمكن لاجتماع فى بيت من البيوت فى مكان بعيد عن الكنيسة المحلية ، فى حى ما أو فى مدينة ما ، أن يصبح كنيسة مستقلة تقوم بدورها فى خدمة المجتمع المحيط بها ؟

أما عن السؤال الأول فنحن لا نرفض على الاطلاق أن يجتمع بعض المؤمنين معا فى البيوت للصلاة أو لدراسة الكلمة أو للتخطيط للخدمة أو لتعميق المحبة . فهذا حدث ويحدث باستمرار فى كنيسة المسيح فى كل مكان . بل أكثر من هذا فالاجتماعات الصغيرة للمؤمنين وسط الأسبوع سواء فى الكنيسة أو فى البيوت كجماعات للأهداف السابقة ، تشكل واحداً من أروع وأهم أسباب النمو والانتشار للكنيسة ككل . ولكن الأمر المهم هو موقع هذه الجماعات الصغيرة التى فى البيوت فى جسد المسيح الواحد . بمعنى آخر ، هل هى خلايا حية للكنيسة تجتمع وسط الأسبوع للشركة والدراسة والخدمة ، فى تنسيق

كامل مع باقى الجماعات فى الجسد ، وفى اطار خطة واحدة لكل الكيان ، ثم تلتقى كل هذه الجماعات فى يوم الرب معا كشعب الرب للتعليم وممارسة الفرائض والتعبد ، مجتهدين معا أن يحفظوا وحدانية الروح فى الكنيسة برباط السلام كما يعلن الرسول بولس ذلك إلى كنيسة أفسس ٤ : ٣ - ٦ . أم أنها جماعات غير مرتبطة على الاطلاق سواء ببعضها البعض أو بالجسد الواحد ؟

فى هذا الإطار الشامل الكامل للكنيسة نمارس شركة المؤمنين . فا لشركة من السمات الأساسية للكنيسة الممتلئة بالروح والقدس ، وهى تعبير عن روح وطبيعة المجتمع الجديد . وهى فى ذات أهمية وقدسية التعليم وكسر الخبز والصلوات كما نرى فى أعمال ٢ : ٤٢ . كما أن شركة المؤمنين هى تحقيق لهدف الله للإنسان . فلقد كان الله من البداءة يهدف إلى اقامة عائلة له يجد فيها لذته وتجد هى معه ومع بعضها البعض ذات الفرح (كو ١ : ١٨ مع رو ٨ : ٢٩) . ولذلك كان معنى الخلاص أن يتخلص الإنسان من وحدته بجانب الخلاص من الخطية . وهنا عليه أن ينضم إلى الاسرة الجديدة التى يأتنس بها ويجد فى دفئها سروره ونموه (أع ٢ : ٤٧) . وبما أن الخلاص لا يعنى فقط التبرير وغفران الخطايا فى الماضى بل يتصل بالنمو فى النعمة وفى معرفة ربنا يسوع المسيح فى الحاضر والمستقبل أيضاً ، لذا كان لزاماً على المؤمن أن يمارس شركة المؤمنين بين شعب الرب حتى يتمم خلاصه .

إن مفهوم الكنيسة فى الكتاب المقدس كما يتضح من سر تكوينها فى كولوسى ١ : ٢٥ - ٢٩ ، أفسس ٣ : ١ - ٩ هو حياة الشركة . والشركة المقصودة ليست جماعة تقيم معا فقط ، أى ليست شركة اجتماعية كما يحدث فى المجتمع بصورة أو بأخرى . ولكنها شركة ورابطة خاصة تربط أعضاء الكنيسة معا . هذه الشركة الخاصة تبنى على أساسين :

الأول : هو الثالوث .. أن الآب فى شركة دائمة مع الابن ومع الروح القدس .. وهذا المفهوم عن الله هو الذى يعطينا المعنى الحقيقى للشركة .

الثانى : المسيح والكنيسة .. فى نبوة دانيآل ٧ : ١٣ نرى المملكة تعطى

لابن الإنسان الذى هو المسيح ، وفى نفس الاصحاح دانيال ٧ : ٢٧ نرى المملكة تعطى لشعب قديسى العلى . معنى هذا أن ابن الإنسان ليس فرداً فقط لكنه فرد ومجموعة مرتبطين معا ارتباطاً كليا . إن رئيس شعب الله لا يمكن أن ينفصل عن شعب الله ، إنها العلاقة التى تربط الرأس بالجسد ، تربط المسيح والكنيسة . وعلى أساس هذه الشركة بين المسيح والكنيسة تقوم الشركة بين المؤمنين وبعضهم فى الجسد الواحد .

لكننى أريد أن أتوقف عند بعض نماذج لشركة المؤمنين والتى تتحدى تفكيرنا اليوم فى العهد الجديد . الأول فى كنيسة فيلبى التى تميزت بروح الشركة والمحبة ومن يقرأ عن بداية تكوين هذه الكنيسة فى أع ١٦ نرى ثلاث شخصيات يجب أن نتوقف قليلا أمامها . شخصية ليديا بائعة الأرجوان وهى سيدة مجتمع على قمة السلم الاجتماعى ، وشخصية الجارية التى كان بها روح عرافة وكلنا نعرف مكانة وقيمة العبيد والجوارى فى ذلك الوقت ، ثم شخصية سجان فيلبى والذى يشير كرجل إلى موظف الحكومة الذى ينتمى إلى الطبقة المتوسطة . وعندما يدخل الرب يسوع حياة هذه الشخصيات الثلاث نجدهم يكونون معا كنيسة الرب يسوع فى فيلبى ، ويمارسون معا برغم اختلافات الجنس والمستوى الاجتماعى شركة المؤمنين . إن روح الله يملأ حياة الكنيسة كما يملأ المساحات التى تفصلهم كرجال أو نساء ، أغنياء أو فقراء ، كبار أو شباب . هذه هى معجزة الكنيسة المسيحية التى أثرت فى كل الامبراطورية الرومانية حينذاك . ألسنا نرى نفس المعنى للشركة المسيحية فى علاقة فليمون السيد الغنى رجل الأعمال مع أنسيمس العبد الهارب مع الرسول بولس ؟ فى صورة الرسول الشيخ مع فليمون الأخ مع أنسيمس الابن ؟ وكيف أحدثت النعمة عملها فى خلق شركة المؤمنين بين هذه الشخصيات ؟ (أرجو قراءة رسالة فليمون وبخاصة الأعداد ٦ — ١٦) . وماذا عن النموذج الرائع للمؤمنين الأوائل فى أعمال ٢ : ٤٢ — ٤٧ وكيف أن جميع الذين آمنوا كانوا معا بنفس واحدة ، بجميع شخصياتهم وأعمارهم ؟ هذا هو مفهوم شركة « المؤمنين » أو « القديسين » ، والذى نجده واضحاً وملخصاً فى كلمات الرسول بولس إلى

كنيسة غلاطية : « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر او أنثى لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٧ و ٢٨) . الشركة التى تنحصر فقط فى « اجتماع معين » ، أو « جماعة معينة » ، أو « طبقة معينة » ، أو « فكر معين » ، بل تتعدى هذه الأطر الضيقة لتشمل كل شعب الرب ، والتى تكتمل بمعناها الحقيقى عندما يجتمع كل الشعب الرجال والنساء والشباب والأطفال من كل الفئات والطبقات حول شخص الرب وفى بيته المقدس وفى اليوم الربانى .

أما عن السؤال الثانى حول موقع اجتماعات المؤمنين الأوائل لكسر الخبز فى البيوت هذا المفهوم كما نراها فى أع ٢ : ٤٦ . عن هذا السؤال أقول : لا ينبغى أن تؤخذ هذه العبارة من قرينتها الكتابية من ناحية ، ومن موقعها فى تاريخ تكوين الكنيسة الأولى من ناحية أخرى ، ثم نبنى عليها شرعية انغلاق مجموعات معينة على نفسها لأهداف خاصة لكسر الخبز فى البيوت . فهذه الآية تذكر أن عبادتهم الرسمية فى الهيكل لم تتوقف يوما واحداً اذ يقول البشير لوقا « وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة ... » . ولأنهم جماعات صغيرة قبلت إيمانا جديداً بالرب يسوع الذى مات وقام عنهم وفيهم . ولأن الوقت لم يكن قد حان بعد لبناء الكنائس وتنظيمها كما حدث بعد ذلك فى سفر الأعمال كما أشرنا سابقا فى هذه الدراسة . كان لابد لهذه الجماعات الصغيرة أن تلتقى فى البيوت تمارس معاً إيمانها الجديد فى كسر الخبز والشركة . وهذه الجماعات الصغيرة بايمانها الجديد الذى تمارسه لم تكن وقتها تشكل « جماعات » بجانب الكنيسة المسيحية ، بل كانت هى الكنيسة المسيحية فى بدء عهدها . وهذا ما يبرزه البشير لوقا فى ختام الفقرة عندما يقول : « وكان الرب كل يوم يضم إلى **الكنيسة** الذين يخصلون » أ ع ٢ : ٤٧ . لذا أرجو أن نحذر خطأ التعميم ومغالطة تطبيق الحقائق والنصوص الكتابية بعيداً عن خلفيتها الكتابية والتاريخية . كما أصلى أن ينير الرب بالروح القدس عيون أذهاننا من خلال كلمته التى تسكن فينا بغنى ، كى لا نكون فيما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال(أ ف ٤:٤ ١) .

أما السؤال الثالث والذى يرتكن فى مضمونه على كلمات الرب يسوع فى مت ١٨ : ٢٠ التى تقول : « لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بأسمى فهناك أكون فى وسطهم » . حول هذه الكلمات يلتف البعض ويقولون ألا يكفى أن يكون الرب نفسه وسط أى جماعة تجتمع باسمه ؟ وهنا أقول مرة أخرى ما أكثر ما نردد ونحفظ عبارات كتابية بعيداً عن معناها الذى يظهر بكل وضوح فى هذا الاصحاح . ومع الأيام وربما لبعض الأسباب تتمكن المعانى غير الصحيحة لهذه العبارات منا ، وتترسب فى داخلنا وتخرج على شكل اتجاهات فكرية أو اقتناعات عملية ، دون إدراك لمعناها الصحيح فى كلمة الرب . وهذه العبارة التى أمامنا أكبر نموذج لكل هذا الذى يحدث . وعندما نعود لهذا الاصحاح نجده يتحدث عن الأخطاء التى تصدر عن عضو ما من أعضاء الكنيسة ، وعن كيفية تأديب هذا العضو وعلاجه بروح الوداعة والمحبة وعلى أساس حضور المسيح فى وسط كنيسته . ولذلك يقول اشارة إلى خطأ الأخ واجراءات وكيفية التأديب الكنسى كما نرى بالذات فى مت ١٨ : ١٥ — ٢٠ .. حيثما أجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى ، لتأديب وعلاج هذا الأخ كممثلين للكنيسة فهناك أكون فى وسطهم . ومن منطلق حضور وأسلوب شخص الرب يسوع يجب أن يتم التأديب والعلاج . والعبارة مرتبطة بعبارة سابقة فى نفس الموضوع وفى نفس الفقرة فى العدد السادس عشر والتى تقول : « لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة » . كما أنها مقتبسة من سفر التثنية ١٩ : ١٥ « لا يقوم شاهد واحد على إنسان فى ذنب ما أو خطية ما من جميع الخطايا التى يخطىء بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر » . وهذا للتأكد من الخطأ من ناحية ومن المصالحة من ناحية أخرى . ويقتبس الرب يسوع هذه العبارة ويضيف اليها الضمان الأعظم الذى يضمن للكنيسة وحدانيتها وقوتها وسلامها عندما تقوم بعملية التأديب أو المصالحة . هذا الضمان هو حضور شخصه المبارك فى الوسط وعلى أساس أسلوب حياته . وهذا ما يزداد وضوحاً فى الأعداد التالية فى هذا الاصحاح عندما تقدم بطرس اليه متسائلا كم مرة يخطىء إلىَّ أخى وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات ؟ وكانت

إجابة المسيح سواء المباشرة أو التى من خلال المثل الذى قدمه ، يذكرنا بالمديونية التى علينا أمام عمل المسيح الكامل من أجلنا . والتى أمامها أيضاً نتعلم ونختبر كيفية مواجهة أخطاء الآخرين .

من كل هذا نرى أنه لا علاقة بين هذه العبارة فى معناها وموقعها الكتابى وبين الفكرة الخاطئة الخاصة بها فى أذهان الناس . والتى تزعم أن الرب يسوع يبارك بحضوره هذه الجماعات أو الاجتماعات المستقلة البعيدة عن الكنيسة التى هى جسده ملء الذى يملأ الكل فى الكل (أ ف ١ : ٢٢ و ٢٣) .

بقى لنا السؤال الرابع والاخير والذى يسأل عن كيفية تحول اجتماع فى بيت فى منطقة بعيدة عن الكنيسة المحلية ، إلى كنيسة مستقلة تقوم بدورها فى خدمة المجتمع المحيط بها . وفى الاجابة على هذا السؤال أقول إن الكنيسة ترحب جداً بهذا الاتجاه لأنه يحقق هدفها فى امتداد دورها ورسالتها إلى كل المجتمع الواسع والكبير .

ولكن من المهم الالتفات إلى الخطوات الطبيعية والقانونية التى يمر بها هذا الاجتماع . اذ يجب أن تتبناه أقرب كنيسة محلية روحيا واداريا . ويا حبذا لو أن الكنيسة من خلال رؤيتها وخطتها هى التى ساعدت فى انشائه ، وبالتالى ينتمى هذا الوليد إلى الكنيسة الأم بطريقة تلقائية طبيعية ثم تساعد الكنيسة هذا الوليد وتسانده إلى أن يكبر . أما إذا كان الاجتماع ، بسبب بعد المسافة أو لأية أسباب أخرى ، لا ينتمى أساساً إلى أية كنيسة محلية ، فعلى أعضائه أن يبدأوا الخطوات العملية لبدء كنيسة وهكذا يصبح الاجتماع كنيسة محلية منتظمة ومرتبطة بالكنيسة العامة .

وفى الختام أريد أن أكرر نشيد التمجيد مع الرسول بولس : « والقادر أن يفعل فوق كل شيء أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر بحسب القوة التى تعمل فينا له المجد فى الكنيسة فى المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور آمين » (أف ٣ : ٢٠ و ٢١) .

الفصــــل الثانــى

الكنيســة والعمل الاجتماعى
الاتجاهــات المختلفـــة

أريد أن أعطى اشارة سريعة عابرة عن الاتجاهات المختلفة عبر التاريخ الكنسى التى ركزت على العلاقة بين الكنيسة والمجتمع . هذه الاتجاهات يمكن أن تتلخص فى ثلاث مدارس رئيسية .

فهناك المدرسة الإنفصالية : التى نادت بالفصل التام بين الكنيسة والمجتمع ، بين ما هو إلهى وما هو طبيعى ، بين ما هو مقدس وما هو دنيوى . وفى ظل هذا الفكر ظهرت حركات كثيرة خاصة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تؤمن بذات الفكر مثل الحركات التطهرية والتقوية . وخطورة هذا الاتجاه أنه أدى إلى انسحاب الكنيسة من مجتمعها ، وبالتالى فقدت دورها المؤثر وضعفت إرساليتها فى العالم كنور وملح ، وتحولت الكنائس إلى أديرة إنجيلية . وربما ساعد هذا الاتجاه فى وجود الازدواجية أو الانفصام الذى نراه حتى اليوم فى الكنائس ، بين العبادة والتعليم من ناحية وبين السلوك والتطبيق فى الحياة اليومية من ناحية أخرى .

وهناك المدرسة الاندماجية : التى نادت باندماج الكنيسة الكامل فى

المجتمع . وهذه المدرسة تقف على الطرف الآخر من الاتجاه الانفصالى ، فهما على طرف نقيض تماماً . وفى القرن التاسع عشر ظهر كتاب عن لاهوت الاندماج أثار التفكير فى اتجاه هذه المدرسة ووجّهه . وهو اتجاه له أبعاده الكبيرة . وخطورة هذا الاتجاه أنه حول رسالة الإنجيل الذى هو الخبر السار عن فداء الإنسان ، وغفران خطاياه ، ونموه فى النعمة ، وأمر أبديته ، إلى لون اجتماعى فقط ينقصه التركيز الإيمانى الكتابى والرئيسى فى حياة الكنيسة . وبالتالى فقدت الكنيسة قوتها الروحية الدافعة ، وبهتت معالم حياتها المقدسة المتميزة عن العالم ، وتعثر امتدادها ونموها لأن الكرازة « الكيرجما » عنصر من عناصر تكوين الكنيسة وليست مجرد عمل لها .

وهناك أخيراً المدرسة الاعتدالية : والتى تنظر إلى علاقة الكنيسة بالمجتمع نظرة شمولية موضوعية متوازنة . هذه المدرسة نادت بأن الإنسان كيان واحد شامل ، كما ان الإنجيل هو إنجيل واحد كامل أتى لخلاص الإنسان كله روحاً وجسداً . وكما أن الإنسان فى مسيس الحاجة إلى غفران خطاياه ، فهو بحاجة أيضاً إلى سد احتياجاته الجسدية . انه يحتاج إلى التحرير الكامل ، الذى هو هدف رسالة الرب يسوع ، من الخطية ومن الفقر ومن الظلم ومن الجهل ، حتى يمكنه أن يستمتع بكل أبعاد الحياة الأفضل .

وكتعبير حى عن هذا الاتجاه ، ظهرت الحركة العظمى فى الدوائر الإنجيلية فى القرن العشرين ، والتى تركز على محاولة تحويل الحياة على الأرض إلى حياة السماء ، أو تحويل المجتمع إلى ملكوت الله بتجديد كل العلاقات الإنسانية فى كل المجالات سواء فى الحياة الروحية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية . وكانت نقطة التحول الكبرى فى هذه الحركة هو التجمع الذى حدث فى يوليو عام ١٩٧٤ فى مدينة لوزان بسويسرا ، والذى أعلن بكل الوضوح أن الكرازة والعمل الاجتماعى والسياسى هما وجهان رئيسيان لدورنا المسيحى .

وبلا شك فان هذا الاتجاه يتناسب معنا ككنيسة مصرية . فهو يتوافق مع فكرنا الكتابى من ناحية ، ومع حاجة المجتمع المصرى إلى دور الكنيسة

للمشاركة فى تنميته وممارسة المحبة المسيحية العملية من ناحية أخرى .

والآن أريد أن أقدم سؤالاً هاماً :

هل العمل الاجتماعى يشكل جانباً أساسياً من ارسالية الكنيسة فى العالم بجانب الكرازة ؟ وإذا كنا نؤمن بهذا الاتجاه ، هل هناك الأسس الكتابية التى تؤيده ؟

هذا ما سنحاول الإجابة عليه فى الصفحات التالية .

الأساس الكتابى لارسالية الكنيسة فى المجتمع

إن كل دارس للكتاب المقدس بعمق ودراية ، يجد أن العقائد الكتابية الكبرى ، تقدم لنا مفاهيماً صحيحة تؤيد وتدعم وتحتم دور الكنيسة الخلاق فى تنمية المجتمع . ولقد قدم لنا رجل الله المعاصر القس الدكتور جون ستوت John. R. W. Stott* فى كتابه الممتع عرضا شيقا غنيا لخمس عقائد كبرى عن الله والإنسان والمسيح والخلاص والكنيسة وأبرز من خلالها المفاهيم الصحيحة التى تشكل أساساً كتابيا لارسالية الكنيسة لمجتمعها بصفة عامة ، ولدور الكنيسة الفعال فى العمل الاجتماعى بصفة خاصة . وسوف أحاول أن أقدم هذه العقائد بشىء من التركيز والايجاز بقدر الامكان .

١ - عقيدة صحيحة عن الله :

من المهم للغاية أن نصحح أفكارنا عن الله . لأن سلوكنا فى كيفية الاقتراب منه ، وبالتالى من الأشياء والأشخاص من حولنا ، يتأثر غالباً بمفهومنا عن الله . ونحن مجربون بأن نرسم صورة لله من صنعنا ، أو من صنع مجتمعنا وبيئتنا . ولكن الله أعلن نفسه ، وصورته الشاملة والكاملة ، بوضوح فى الكلمة المقدسة .

فالله هو الإله الحى الذى هو أولا اله الطبيعة كما أنه اله الدين .. الاله الذى يهتم بكل ما هو دنيوى كما يهتم بكل ما هو دينى . ومن هذا المفهوم لابد أن تترجم عظات وخدمات الكنيسة يوم الأحد إلى رعاية عملية بالأرامل والملاجىء والفقراء والمحتاجين ، ثم إلى أمانة واضحة فى الاعمال اليومية ، وإلى تغلغل صادق وحقيقى فى المجتمع . وإذا لم تفعل الكنيسة ذلك أصبحت عبادتها

---

* Issues Facing Christians Today. By: John Stott

عبادة مرائية شكلية . فى سفر التكوين ١ : ٣١ نجد هذه الكلمات « ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جداً . وكان مساء وكان صباح يوما سادساً » . ويقول الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس « لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا أخذ مع الشكر » (١ تى ٤ : ٤) .

والاله الحى هو ثانيا اله الخليقة كما أنه اله العهد .. والكتاب المقدس يبدأ بالشعوب والأمم وليس باسرائيل ، يبدأ بآدم وليس بابراهيم ، بالخليقة ، وليس بالعهد . يقول المرنم فى مزموره « من السموات نظر الرب ورأى جميع بنى البشر . من مكان سكناه تطلع إلى جميع سكان الأرض . المصور قلوبهم جميعا المنتبه إلى كل أعمالهم » . (مز ٣٣ : ١٣ - ١٥) . وفى نبوة دآنيال « ويطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران فتمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء » . (د أ ٤ : ٣٢) . ويقول عاموس « ألستم لى كبنى الكوشيين يا بنى اسرائيل يقول الرب . ألم أصعد اسرائيل من أرض مصر والفلسطينيين من كفتور والأراميين من قير » (عا ٩ : ٧) . من هنا ينبغى أن ندرك أننا لو حصرنا الله « علينا » وحدنا ، وربطناه « بنا » فقط ، نكون قد رفضنا طبيعة الله الحقيقية ، وجعلناه محدوداً جداً كما فعل وتصور شعب اسرائيل .

والاله الحى هو ثالثاً إله العدالة كما أنه اله التبرير .. وفى سفر الخروج نجد هذه الكلمات « فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء » (خر ٣٤ : ٦) . ان الله يتوقع منا أن نعمل على انتشار عدله بين المجتمع المسيحى ، وأن يمتد عدله ليشمل كل المجتمع الإنسانى . فهو يكره الظلم والاستغلال بكل صوره وأشكاله فى كل مكان فى العالم . وهو يريد أن تمتد ارادته الصالحة للحياة الافضل لكل بنى البشر فى داخل الكنيسة وخارجها ، وأن يأتى ملكوته ويسود كما فى السماء كذلك على الأرض . ولقد عبر صوت النبوة بقوة عن هذا المفهوم .. يقول

عاموس نبى العدالة الاجتماعية « هكذا قال الرب : من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والاربعة لا أرجع عنه لانهم باعوا البار بالفضة والبائس لأجل نعلين الذين يتهممون تراب الارض على رؤوس المساكين ويصدون سبيل البائسين ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا اسم قدسى . ويتمددون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبح ويشربون خمر المغرمين فى بيت آلهتهم » . (عا ١ : ٣ – ٢ : ٨) ويقول ناحوم « ويل لمدينة الدماء . كلها ملآنة كذبا وخطفاً » .

ونحن ان كنا نؤمن بهذا المفهوم الصحيح عن الله ، لا يمكن أن نهرب من اهتمامنا الاجتماعى وأنه نحوله إلى حركة اجتماعية حية .

٢ – عقيدة صحيحة عن الإنسان :

هناك اختلاف واضح بين المسيحيين وبين أصحاب الفلسفة الإنسانية فى نظرة كل منهم إلى الإنسان . فتهتم الجماعة الثانية **Humanists** بالإنسان من حيث طاقته وقدراته الكامنة وكيفية اطلاقها ، وتميز بين انسان وآخر بقدر ما يملك هذا الإنسان أو ذاك من هذه الطاقات والقدرات . أما نحن كمسيحيين فنظرتنا تختلف ، فنحن نهتم بالإنسان لأنه أصلا وبكل بساطة مخلوق إلهى مخلوق على صورة الله ، بغض النظر عن طاقاته وقدراته التى يملكها أو التى لا يملكها . ولذلك فنحن نهتم بالكل ، بالشيخ والشاب بالقوى والضعيف والمعوق .. الخ . فالإنسان كل انسان مخلوق على شبه الله ، ولذلك فهو فريد ومتميز . ومن هنا نحن نهتم أيضاً بالإنسان ككل ، بروحه وجسده على السواء ، باحتياجاته الروحية وحاجاته الاجتماعية التى تتضمن مشكلات مجتمعه . نعم شوهت الخطية صورة الله فى الإنسان ، لكن سمات هذه الصورة الإلهية موجودة داخله . ولذلك فقيمته « كانسان » باقية وموجودة أيضاً ، وامتيازنا أن نقوم على خدمته . وان كنا حقيقة نحب « أقاربنا كنفوسنا » وجب علينا أن نهتم بشئونهم كلها دون تفرقة ، وبأشخاصهم جميعا دون تمييز .

هذه هى العقيدة الصحيحة عن الإنسان ، وهكذا كانت نظرة يسوع اليه

عندما كان بيننا على الارض . لقد كان صاحب النظرة الفريدة للإنسان وللإنسانية ، لقد رفع الإنسان فوق كل شيء ، ووضعه فوق الاحكام والنواميس ، فوق التنظيمات والبرامج والخطط ، فوق الأشكال والقوالب الاجتماعية والدينية فى عصره .. ولنسمع فى فهم وطاعة لبعض ما قال وعلم به فى إنجيلى مرقس ولوقا .. « ثم قال لهم السبت انما جعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت . وجاءوا إلى يسوع فنظروا المجنون الذى كان فيه اللجئون جالسا ولابسا عاقلا . فخافوا » . (مر ٢ : ٢٧ ، ٥ : ١٥) « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً . والذى يغفر له قليل يحب قليلا . أقول لكم انه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة . هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب » . فقال له يسوع « اليوم حصل خلاص لهذا البيت اذ هو ابن ابراهيم . لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك » (لو ٧ : ٤٧ ، ١٥ : ٧ و ١٠ ، ١٩ : ٩) .

٣ – عقيدة صحيحة عن المسيح :

نحتاج أن نقترب أكثر إلى يسوع الكتابى التاريخى ، انه لم يقبل أن يبقى فى مجده الكامل فى السماء ، لكنه أخلى نفسه من مجده آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس ، واذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب .. لقد وضع نفسه ليخدم .. لقد صار محدوداً بجسم بشريتنا ، ضعيفا ، دخل إلى عالمنا ، عالم الألم والاغتراب والتجارب ..

وبعض الكنائس تركز على المسيح المصلوب وعلى الفداء والتبرير وغفران الخطايا . والبعض الآخر يركز – كالكنائس التقليدية – على التجسد وعمل الخدمة وصنع الخير . لكن المسيح هو مسيح التجسد والفداء معا . ورسالة الكنيسة للعالم يجب أن تكون على مثال ارسالية المسيح للعالم ، وما قاله هو « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » . وان كانت الكنيسة تسير على نفس مثال المسيح فى خدمته وارساليته ، يجب أن تندمج كلية فى آلام البشرية المحيطة بنا فى

مجتمعنا ، وليس فقط بين المسيحيين الملتفين حولنا . لقد تجسد المسيح ، والكنيسة يجب أن تتجسد العالم سواء فى التبشير والكرازة أو الخدمة والعمل الاجتماعى . ان ارسالية المحبة هى القادرة أن تتجسد العالم لتشهد له ، وتتجسد العالم لتخدمه ... فقال لهم يسوع أيضاً « سلام لكم . كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » (يو ٢٠ : ٢١) .

٤ - عقيدة صحيحة عن الخلاص :

أولاً : إن الخلاص هو بركة حكم الله وسلطانه ، ولذلك لا يجب أبداً أن نفصل الخلاص عن ملكوت الله ... يقول النبى اشعياء « ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك الملك » . (إش ٥٢ : ٧) « فتحير التلاميذ من كلامه فأجاب يسوع أيضاً وقال لهم يا بنى ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله . مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله . فبهتوا إلى الغاية قائلين بعضهم لبعض فمن يستطيع أن يخلص » (مر ١٠ : ٢٤ - ٢٦) . ولكن ملكوت الله هو سلطان الله وحكمه الحى الديناميكى الذى اقتحم التاريخ الإنسانى بالمسيح يسوع ، وواجه الشر والشرير وانتصر عليه ، ونادى بالاخبار السارة ، وبناء الإنسان الأفضل . والكنيسة ينبغى أن تكون مجتمع الملكوت ، والنموذج الذى يتشبه به المجتمع عندما يأتى تحت سلطان الله وسيادته .. بمعنى أننا لا ينبغى أن نحصر مفهوم الخلاص فى مجرد اعادة اصلاح النفس ، بل ينبغى على الكنيسة أن تكون فى حياتها اليومية المشرقة والمشرفة ، مجتمع الرب الجديد الذى يتطلع اليه المجتمع ليحتذى به ويقبل سلطان الله عليه .

وثانياً : لا يجب أن نفصل يسوع المخلص عن يسوع السيد ... فسيادة المسيح تمتد لتشمل كل جوانب ومجالات حياتنا ، فنحن نقبله مخلصاً وسيداً فى نفس الوقت ، وبهذا يكون الخلاص أوسع وأشمل من مجرد غفران الخطايا . انه يشمل حياتنا الخاصة السرية وحياتنا العامة العلنية ، يشمل مسئولياتنا الروحية كما يشمل مسئولياتنا الاجتماعية والاقتصادية أيضاً . انه يشمل كل شىء .

وثالثاً : لا يجب أن نفصل الإيمان عن المحبة ... وإذا كان ايماننا حيا وصادقاً ، فلابد أن نعبر عن هذا الإيمان ونترجمه فى أعمال الخير والمحبة ، وهذه المحبة يجب أن تعبر عن نفسها عمليا فى دائرة خدمة الإنسانية والمجتمع من حولنا ، فالإيمان بدون أعمال ميت فى ذاته . والعهد الجديد ملىء بالنصوص التى تنادى بهذا المفهوم وتعمقه مثل : « وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الاسرار وكل علم وان كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . « لانه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة . فإنكم إنما دعيتم للحرية أيها الأخوة غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل ، بالمحبة أخدموا بعضكم بعضا » . (غل ٥ : ٦ و ١٣) . « لا يغركم أحد بكلام باطل لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية . ولكن الكل إذا توبخ يظهر بالنور لأن كل ما أظهر فهو نور » (أف ٥ : ٦ و ١٣) . « الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل أثم ويطهر لنفسه شعبا خاصا غيوراً فى أعمال حسنة » . (تيطس ٢ : ١٤) . « كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران . شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » . (يع ٢ : ١٧ ، ١٨) . « وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه » (١ يو ٣ : ١٧) .

٥ – عقيدة صحيحة عن الكنيسة :

يفكر بعض الناس فى نفوسهم أنهم أناس متدينون ، يقومون بأمور دينية مع أناس متدينين آخرين .. وهذا هو كل مفهومهم للكنيسة . ولذلك يجب أن لا ننظر إلى الكنيسة على أنها « نادى » ، ونحيا فيها كأننا نجلس فى دائرة يواجه أحدنا الآخر فقط . بل نحتاج أن نراها فى طبيعتها المزدوجة . فهى أولا : الشعب المقدس الذى دعى من العالم لينتمى إلى الله ، وهى ثانيا : الشعب الذى يعيش فى العالم ، بمعنى الشعب الذى أرسل إلى العالم ليشهد ويخدم . وهذا ما نراه بوضوح فى كلمات الرب يسوع فى الموعظة على الجبل فى إنجيل متى عندما

قال : « أنتم ملح الأرض . ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس . أنتم نور العالم . لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل . ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين فى البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (متى ٥ : ١٣ - ١٦) . وما نراه أيضاً فى حياة يسوع « وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها . ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » . (متى ٩ : ٣٥) هذه هى شخصية الكنيسة المزدوجة والتى من خلالها تحقق ذاتها فى العالم .

وأحياناً تركز الكنيسة على جانب واحد من طبيعتها وشخصيتها . فمثلاً قد تركز على قداستها وبالتالى تتطرف بانغلاقها على نفسها ، وانسحابها من كل الدوائر والمجالات المدنية فى العالم وتتجاهل احتياجات وآلام البشرية من حولها ، وتعطى ظهرها لشكلات المجتمع الذى تعيش فيه ، نعم علينا مسئولية تجاه اخوتنا فى الكنيسة فى المحبة والشركة والتدعيم والبناء ولكن من الخطأ أن ندير ظهرنا للعالم الذى أرسلنا المسيح اليه .

وأحياناً تتطرف الكنيسة فى الجانب الآخر فتخرج إلى العالم وتنسى مسئولياتها الكنسية ، وتهمل طبيعتها المقدسة . فتتعرض بالتالى لخطر مشاكلة العالم ، وتفقد قوة ومركز رسالتها ، فتضعف وتذبل وتجف وتيبس بهجتها الروحية .

ولكن على الكنيسة أن تحافظ على طبيعتها المزدوجة معا ، فهى أولا جماعة مختارة من العالم لتتعبد للرب ، وهى ثانياً جماعة مرسلة إلى العالم لتخدم الله . هى جماعة مقدسة مختلفة عن العالم ومرتفعة عن مستواه ، وهى جماعة مدعوة لتعمل فى العالم فى نفس الوقت . وهذا ما نراه أيضاً فى صلاة المسيح الشفاعية فى يوحنا ١٧ . لقد صلى لأجل التلاميذ وقداستهم واختلافهم عن العالم وارساليتهم للعالم قائلا : « لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير . ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم . قدسهم فى حقك . كلامك

هو حق . كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم » (يو ١٧ : ١٥ - ١٨) . وبقدر ما تكون عقيدتنا فى الكنيسة وعنها متزنة بقدر ما تكون حياتنا المسيحية فى العالم متزنة ، والعكس صحيح . فان تأثير الكنيسة فى العالم يعتمد على اتزانها وجمعها بين القداسة والعالمية . فالكنيسة كما نعلم نور وملح ، والعالم يميل إلى الفساد ، والكنيسة عليها أن تندمج فى العالم لتحفظه من الفساد والتعفن . ومن الغريب أن البعض يريد أن يبقى فى « الملاحة » ولا يخرج إلى العالم الفاسد ، فقط يشكو ويلوم ويرتعب ... أين الملح ؟ يجب أن نتغلغل فى كل قطاعات المجتمع لنحفظه من الفساد . نعم علينا مسئولية خاصة لأهل الإيمان ، ولكن دورنا المسيحى أنه حسبما لنا فرصة نعمل الخير للجميع (غل ٦ : ١٠) .

وشخصية الكنيسة المزدوجة ليست مستمدة فقط من تعليم يسوع وخدمته بل من مثاله أيضاً . فلقد أخلى يسوع نفسه وتجسد وأصبح واحداً منا تماماً ، ولكنه مع ذلك هو ابن الله الذى لم يفقد عنصراً واحداً من عناصر شخصية لاهوته ، وهو يقول لنا « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » .

تطبيــق عملــى

من كل ما سبق ينبغى أن ندرك أن كل فرد مسيحى مدعو ليكون شاهدا وخادماً فى نفس الوقت . فا لخدمة Diakonia والشهادة Marturia صنوان لا يفترقان أو ينفصلان . والمسيحيون المختلفون مدعوون لأنواع مختلفة من الخدمات الخاصة ، ففى الأصحاح السادس من سفر الاعمال نجد التلاميذ فى خدمة الكلمة ، ونجد الشمامسة فى خدمة الموائد والعمل الاجتماعى . وإذا دعينا إلى خدمة اجتماعية فى العالم فى مجالات الطب والتمريض والتدريس والصيدلة والهندسة والأعمال الإدارية وأنواع الحرف ... الخ ، فنحن مازلنا تحت ضرورة الشهادة . وإذا دعينا من الناحية الأخرى إلى خدمة كرازية فنحن مازلنا تحت ضرورة المسئوليات الاجتماعية . وهذا ما نراه فى حديث الرسول بولس إلى كنيسة أفسس عن هذا التكامل المتزن عندما قال « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله . إلى إنسان كامل . إلى قياس قامة ملء المسيح . كى لا نكون فى ما بعد أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هو الرأس المسيح . الذى منه كل الجسد مركبا معا ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة » (أ ف ٤ : ١١ - ١٦) .

إن كل كنيسة يمكنها أن تستفيد فائدة كاملة من أعضائها عندما تكتشف الكنوز المخبأة فى داخلهم من المواهب والوزنات المختلفة . إن كل فئة لها إهتمام خاص فى الكنيسة يمكن أن تعمل معا لتعبر عن إهتمامها ، وتترجمه إلى حركة وعمل فى مختلف القطاعات مثل التعليم والصحة والاقتصاد والعناية بالأطفال والتدبير المنزلى ... وهكذا يصبح دور كل فرد من خلال حياته وعمله أن

يخرج إلى المجتمع ، إلى العالم الكبير ، يندمج يتغلغل فيه ، يفكر ويعمل ويعيش ، يحب ويشهد ويتألم ، بل ويموت من أجل المسيح .

إننا بحاجة أن نتذكر المواهب أو العطايا الأربع التى أعطانا إياها الله ، العطية الأولى هى العقل الذى نفكر به . والعطية الثانية هى الكتاب المقدس وشهادته عن المسيح ليضمن التوجيه الصحيح لأفكارنا . والعطية الثالثة هى الروح القدس ، روح الحق ليفتح وينير أذهاننا فنفهم ونطبق الكلمة المقدسة . والعطية الرابعة هى المجتمع المسيحى وهى بمثابة الخلفية التى نمارس فيها أفكارنا لنحيا على ضوئها فى المجتمع الإنسانى .

الفصـــل الثالـــث

الكنيســـة والعمـــل السياســى

أريد فى البداية أن أقدم بعض الأسئلة التى تفرض على تفكيرنا :

- هل الخضوع للسلطات مبدأ كتابى ؟
- هل مبدأ الخضوع للسلطات يعنى عدم الاعتراض عليها أبداً ؟
- متى يجب أن يقول المواطن المسيحى « لا » ؟ وكيف ؟
- هل ارسالية الكنيسة للأمة أو للأفراد ؟
- أيهما أسهل وأيهما أخطر على ضوء لوقا ٢٤ : ٤٧ ؟
- ما هو مفهوم الكنيسة للأمة ؟
- كيف تصبح كنيسة الأقلية كنيسة وطنية فعلا لها مسئولية حقيقية تجاه الأمة دون تضحية بمبادئها وارساليتها ؟
- هل السياسة جزء من رسالة الكنيسة فى المجتمع ؟
- ما هو المعنى الحقيقى المقصود بكلمة « سياسة » ؟

– وهل يتفق هذا الاتجاه مع فكرنا الكتابى ؟

– لماذا نجد اهمالا وأحيانا رفضا لفكرة اهتمام الكنيسة بدورها السياسى ؟

– كيف السبيل إلى ممارسة ذلك عمليا ؟

هذه الاسئلة وغيرها تثور فى داخلنا وسوف لا نستطيع أن نتوقف عند كل سؤال على حدة ولكننا سنحاول أن نلقى عليها بعض الضوء . لأن الهدف الأساسى من طرحها هو اثارة تفكيرنا فيها ، وإن شئنا اقامة حوار حولها . وسوف نتحدث فى هذا الفصل حول هذه القضية من ناحيتين متكاملتين : الأولى عن مبدأ الخضوع للسلطات ، والثانية عن الموقف الصحيح للكنيسة من هذه القضية فى إطار المفهوم الأشمل لعلاقة الكنيسة بالعمل السياسى .

أولاً : الكنيســـة والسلطـــات

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة . لانه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله . حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لانفسهم دينونة . فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل الشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان . افعل الصلاح فيكون لك مدح منه لأنه خادمُ الله للصلاح . لكن ان فعلت الشر فخف لأنه لا يحمل السيف عبثاً اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر . لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير . فانكم لاجل هذا توفون الجزية أيضاً اذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية . الجباية لمن له الجباية . والخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام . لا تكونوا مديونين لأحد بشىء الا بأن يحب بعضكم بعضا . لان من أحب غيره فقد أكمل الناموس . لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وإن كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة تحب قريبك كنفسك . المحبة لا تصنع شراً للقريب . فا لمحبة هى تكميل الناموس » (رومية ١٣ : ١ – ١٠) .

يعانى العالم الحاضر من أزمة السلطة ، أى أن هناك ثورة مستمرة على السلطة . وليست كل ثورة خاطئة ، لكن هناك اعتراضاً وثورة على السلطة فى بعض بلاد العالم عامة ، وفى العالم الثالث خاصة نابعة من الفوضى والفراغ الروحى والثقافى ، وضياع الوعى الدينى الناضج ، وغيبة الأجيال المثقفة المدربة على اعمال الفكر وتحريك العقل كنتاج طبيعى لجمود العملية التعليمية ، وهبوط المستوى الثقافى فى كل المجالات . وأحياناً يكون الضيق بسبب بعض أخطاء السلطة فى وقت زادت فيه الضغوط الاقتصادية ، وتفاقم التضخم والغلاء وساءت الخدمات والمرافق . كما اختل ميزان القيم عند الناس ، واختلطت المعايير الأخلاقية والاجتماعية . وتغيرت تركيبة المجتمع . وانتشر الفساد على كل المستويات ، وظهرت أنماط « للسلوك جديدة » « وغريبة » على مجتمعنا ، وتهاوت صور القدوة الحسنة . بالإضافة إلى فشل القوالب السياسية المتكررة والبدائل المطروحة فى تحقيق التنمية التى نحن فى حاجة اليها لخلق مجتمع آمن مستقر . نتيجة لكل هذا استمرت احباطات الشباب خاصة وهو يتطلع فى تمزق ومعاناة إلى مستقبله .. كيف يعيش ؟ أين يسكن ؟ كيف يحقق أحلامه وأمانيه ؟ وهذا ما يقلل روح الانتماء العميق للبلد ....

كل هذه العوامل وغيرها ، داخلية أو خارجية ، والتى تحيط بنا من كل جانب ، جعلت البعض يتجه إلى الدين لما له من قدسية وسيطرة فى نفوس أبناء المجتمع الشرقى المتدين . والمزدحم فى نفس الوقت بأغلبية ساحقة أمية التعليم محدودة الثقافة . أقول كل هذه العوامل جعلت الثورة على السلطة تأخذ شكل التطرف الدينى الذى يظهر بين الحين والآخر فى شكل موجات متلاحقة تهدد أمن البلاد ووحدتها الوطنية وتجهض كل المجهودات المبذولة لتنميتها واستقرارها . كما أن التطرف الدينى ينبع اساسا من الاحساس بالفراغ أو الفشل أو الضغوط الناتجة عن غياب المناخ الديمقراطى .

والسؤال الكبير هنا :

أين الكنيسة من كل هذا الذى يجرى حولها ؟ هل ترى ؟ هل تسمع ؟ هل

لها دور ؟ وهل عليها رسالة يمكن القيام بها ؟ ...... الحقيقة انى لا أرى دوراً مؤثراً للكنيسة ... بل أراها تتخبط فى موقعها وموقفها من الأحداث بين الفعل ورد الفعل .. أحياناً فى قصر نظر وضياع رشد ورؤية تساعد — من حيث لا تدرى — على ظهور هذه الموجات والتيارات ..... وأحياناً أخرى تأخذ موقفاً سلبيا تماماً . أحيانا ترفض كل شيء وأحياناً تقبل كل شيء ..

لذلك رأيت من اللازم أن نأتى إلى كلمة الله لنعرف موقعنا ودورنا من منطلق ايماننا المسيحى وعلى ضوء فكرنا الكتابى سواء فى ما جاء فى رسالة رومية ١٣ : ١ — ١٠ أو فى الأجزاء الأخرى .

والسؤال الذى يطرح نفسه قبل أن ندخل إلى الأفكار الرئيسية : ما هو سر كتابة هذه الفقرة وغيرها التى تتحدث عن هذا الاتجاه ؟ السر أن الكنيسة الأولى كانت تواجه نفس الموقف . فاليهود ثائرون بطبعهم ، وكانت فلسطين — وخاصة الجليل — موضع كثير من الثورات كما كان منهم طائفة الغيورين الذين يؤمنون أن الله وحده هو ملك اليهود ، وبالتالى لا تدفع الجزية إلا لله وحده . وكانت نظرتهم إلى المجتمع أنه مجتمع كافر . وهكذا كانت نظرتهم إلى الحكومة ، وإلى كل المواطنين الذين يخضعون لها ويدفعون لها الجزية . ولذلك اتجهوا إلى المقاومة بالعنف والارهاب والتشريد والقتل والدماء .. وهنا رأى الرسول أن يعلن الموقف المسيحى للكنيسة بكل الوضوح . وهو نفس الموقف الذى نراه فى كل أجزاء الكلمة المقدسة ، والذى يحدد علاقة الكنيسة بالسلطات المدنية فى كل عصر . هذا الموقف يتلخص فى المبادىء الكتابية التالية : —

١ — المسيحى بجانب أنه عضو فى الكنيسة ، هو عضو فى المجتمع . ومن الخطأ والخطر أن ينسحب من المجتمع أو يعزل نفسه عنه . ولو فعل ذلك وانعزل عن مجتمعه لفقد رسالته وهدف دعوته . فلقد دعى أن يكون نورا للعالم ، وملحا للأرض . ولست أدرى كيف يحقق المسيحى ارساليته هذه بعيداً عن مجتمعه وبيئته التى يعيش فيها . وسوف أعود

لمناقشة هذه الفكرة فى جانب آخر من هذا الكتاب بعد العرض العام لهذه المبادىء .

٢ – المسيحية والمواطنة الصالحة أمران متلازمان . ذلك لأن المسيحية فى جوهرها لا تسمح بأن يعيش المؤمن حياته بوجهين ، وجه يظهر به فى الكنيسة وهو يصلى ويرنم ويتعلم ويتعبد ، ووجه آخر مختلف تماماً عن الوجه الأول يعيش به خارج الكنيسة فى البيت أو مكان العمل أو فى علاقته مع الناس من مرؤوسين ورؤساء ، مواطنين عاديين أو حكام . بل على النقيضين تماماً ، فالمسيحى الحقيقى هو الذى يستمد من علاقته وشركته مع إلهه – سواء فى عبادته الخاصة السرية بينه وبين الله ، أو فى عبادته العلنية الجمهورية مع باقى المؤمنين – منهج وأسلوب حياته العملية اليومية فى كل مكان يوجد فيه ، ومع كل الناس على السواء . وبنظرة فاحصة إلى حياة السيد المسيح وإلى تعليمه ، وعلى سبيل المثال الموعظة على الجبل ، نستطيع أن نرى الوحدة الكاملة فى حياة البر التى يحياها المسيحى فى مجال العبادة من ناحية وفى مجالات حياته الاجتماعية من ناحية أخرى . هذا لأن المسيحى عندما يقبل بالإيمان عمل الله فى المسيح من أجله ، ويدخل الله إلى حياته ، يغير قلبه من الداخل ، ويسكن فيه بالروح القدس . وهنا يستطيع المؤمن أن يحيا حياة البر والحب التى من الله ، بل التى هى حياة الله ، فى كل جوانب حياته . لأنه يمارس « حضور » الله الحى فى كل مكان ، ويسلك « قدامه » كل اليوم . ان الله الذى ملك حياته وملأ كل كيانه ، يتوسط كل علاقاته مع الاشياء والاشخاص . ومن هذا المنطق يحيا المسيحى حياة المواطن الصالح فى مجتمعه ، ويحول عمله إلى مذبح دائم متحرك ، ويتعبد بالحياة كلها ، فى كنيسة تحوطها الجدران ثم يخرج إلى كنيسة بلا جدران ، هى المجتمع الإنسانى الواسع بكل أشكاله وصوره ، وبمختلف أدواره فيه . وبدون هذه المعايشة الحية العملية لفكرنا المسيحى فى مختلف ممارساتنا اليومية نكون قد أفرغنا المسيحية من مضمونها وحولناها إلى مجرد طقوس

وشعائر بلا معنى ، وبلا قدرة فعالة مبدعة .

٣ – وإن كان الله قد أعلن للإنسان حقه كعقيدة كما أعلن بره كسلوك . فان الرسول بولس يريد أن يقول ان الخضوع للسلطات مظهر عملى من مظاهر بر الحياة الجديدة فى المسيح يسوع . فبعد أن تحدث الرسول فى الجزء الأول من رسالة رومية عن البر لاهوتيا وتعليميا ، يتحدث فى الجزء الثانى والذى يبدأ من الاصحاح الثانى عشر عن المظاهر العملية التطبيقية لحياة البر . هذه المظاهر هى :

– الصلة العميقة بالله رو ١٢ : ١ – ٣

– الصلة العميقة بالمؤمنين كجسد رو ١٢ : ٤ – ١٣ .

– الصلة بالمقاومين رو ١٢ : ١٤ – ٢١ .

– الخضوع للسلطات العاملة لخير الجميع رو ١٣ : ١ – ٧ .

– المحبة هى الدين الوحيد الذى يجب أن يوفره الجميع رو ١٣ : ٨ – ١٠ .

– الاستعداد وانتظار مجىء الرب رو ١٣ : ١١ – ١٤ .

– قبول الاقوياء للضعفاء رو ١٤ ، ١٥ .

من هنا نرى الخضوع للسلطات أحد هذه المظاهر العملية الأصلية لشعب الرب المقدس .

٤ – والخضوع للسلطات المدنية فكرة تغطى العهد الجديد كله . ولنذكر على سبيل المثال بعض الفصول التى تتحدث عن هذه الفكرة مثل :

« ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح » (تيطس ٣ : ١) .

« فأطلب أول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس . لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب

لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار . لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله » . (تيموثاوس الاولى ٢ : ١ – ٣) .

« فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل . أو الولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير . لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء . كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر بل كعبيد الله . أكرموا الجميع أحبوا الإخوة . خافوا الله . أكرموا الملك » (بطرس الأولى ٢ : ١٣ – ١٧) .

٥ – لهذا فان عقيدة الخضوع للسلطات نابعة من ايماننا بسيادة الله الشاملة والكاملة على العالم فالله هو الذى يرتب السلطات ويقيم الحكام . والخضوع للسلطات هو خضوع لترتيب الله . وفى هذا يقول الرسول « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة . لأنه ليس سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله . حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة » . (رو ١٣ : ١ – ٢) . ويقول الجامعة « أنا أقول احفظ أمر الملك وذلك بسبب يمين الله » (جامعة ٨ : ٢) .

٦ – والخضوع للسلطات نابع من ايماننا بمسئولية الحاكم فى اقامة « مجتمع عادل » . وفى هذا المعنى يقول الرسول « فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان . افعل الصلاح فيكون لك مدح منه . لأنه خادم الله للصلاح . ولكن ان فعلت الشر فخف . لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر » . (رو ١٣ : ٣ و ٤) . فكرة « المجتمع العادل » فكرة لها جذور عميقة فى الكلمة المقدسة ليس فى العهد الجديد فقط بل فى كل العهد القديم أيضاً (ادرس خروج ٢٣ : ٦ – ٩ ، إشعيا ٥٨ : ٦ – ١٠ ، عاموس ٥ : ١٠ – ١٥ ، ٨ : ٤ – ٦ ، ميخا ٦ : ٦ – ١٢ ، حبقوق ١ : ١ – ٧ ، ١ : ١٢ – ٢ : ٨) .

٧ - والخضوع للسلطات نابع ، لا من الخوف أو التملق والنفاق بل ، من الضمير . ومن منطلق الضمير المسيحى يخضع كل واحد من شعب الرب لكل مؤسسات الدولة ونظمها وقوانينها . فا لدولة تقدم للمواطنين الأمن والخدمات المختلفة ، والمواطنون يقابلون ذلك بروح الالتزام والتجاوب ، والمبادرة بدفع حقوق الدولة من ضرائب وخلافه ، واحترام القانون بكل صوره وفى جميع مجالاته ، والعمل على تنمية البلاد ونهضتها ورقيها . فا لخضوع بهذا المعنى هو تعبير عن الانتماء الحقيقى الناضج والواعى ، لذا ينبغى أن يترجم إلى أسلوب حياة يومى ، يعكس الصورة المشرقة والمشرفة لشعب الرب المتحضر الذى ينتمى لله وللوطن . وفى هذا يقول الرسول « لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير . فانكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً . اذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه . فأعطوا الجميع حقوقهم . الجزية لمن له الجزية . الجباية لمن له الجباية . والخوف لمن له الخوف . والاكرام لمن له الاكرام . لا تكونوا مديونين لأحد بشىء الا بأن يحب بعضكم بعضاً » . (رو ١٣ : ٥ - ٨ أ) .

٨ - والخضوع للسلطات نابع من أخلاقيات المحبة التى هى أخلاقيات الكمال . والمحبة هى صانعة السلام والمصالحة . وهنا يقول الرسول « لأن من أحب غيره فقد أكمل الناموس . لأن لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وان كانت وصية أخرى هى مجموعة فى هذه الكلمة تحب قريبك كنفسك . المحبة لا تصنع شرا للقريب . فا لمحبة هى تكميل الناموس » (رو ١٣ : ٨ ب - ١٠) .وحيثما تحل المحبة يحل السلام فى كل ربوع البلاد . وكلما تعمق السلام فى الدولة عاشت الكنيسة حياة مستقرة وخدمة ناجحة . وهذا هو نفس الاتجاه الذى قدمه إرميا للشعب قائلا « هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السبى الذى سبيته من أورشليم إلى بابل . ابنوا بيوتا واسكنوا وأغرسوا جنات وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وخذوا لبنيكم نساء وأعطوا

بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات وأكثروا هناك ولا تقلوا . واطلبوا سلام المدينة التى سبيتكم اليها وصلوا لأجلها إلى الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام » . (إرميا ٢٩ : ٤ — ٧) .

لقد عاش الرب يسوع هذه المبادىء ، دفع الجزية وعلم بذلك « حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة . فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا . فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربوننى يا مراؤون . أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً . فقال لهم لمن هذه الصورة والكتابة . قالوا له لقيصر . فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » (متى ٢٢ : ١٥ — ٢٢) وأعلن أن سلطان الحاكم من فوق ، من الله عندما قال لبيلاطس « أجاب يسوع لم يكن لك علىَّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى اليك له خطية أعظم » (يوحنا ١٩ : ١١) وهكذا عاش الرسول بولس وسائر الرسل (أعمال ١٨ : ١٢ و ٢٨ — ٣٠) .

ونادى آباء الكنيسة بهذه المبادىء حتى فى أعنف عصور الاضطهاد . ولنقرأ مثلا ما كتبه ترتليان :

« نحن نصلى لأجل سلامة الأمراء إلى الهنا الأزلى الحقيقى الحى ، الذى يخص البشر بعطاياه . ونصلى بلا إنقطاع لأجل أباطرتنا ، طالبين الحياة الطويلة وسلامة الامبراطورية ، وحماية البيت الامبراطورى ، وبسالة لجيوشنا ، وأمانة لنوابنا ، وفضيلة لشعبنا، وراحة لعالمنا . ان المسيحى يتطلع إلى الامبراطور لأنه يؤمن أن الامبراطور مدعو من الله لوظيفته . ان قيصر لنا أكثر مما هو لكم لأن إلهنا هو الذى عينه » .

ثانياً : علاقة الكنيسة بالعمل السياسى والموقف الصحيح من السلطة

نحتاج فى البداية أن نضع تعريفا لكلمة « سياسة » Politics « وسياسى Political » . والكلمة أصلا تحمل معنيين فهى فى المعنى الواسع والشامل تشير إلى حياة المدينة من الكلمة « Polis » ، وبالتالى مسئوليات المواطن العادى من الكلمة « Polites » وهى لذلك تشمل وتتصل بكل جوانب حياتنا فى المجتمع الإنسانى . ومن هنا يكون معنى السياسة الواسع هو « فن الحياة معا فى المجتمع » .

أما المعنى الضيق لهذه الكلمة فهو ما يسمى « The Science Of Government » أو « علم الحكومة » أى الاشتغال أساساً بالسياسة . وهى هنا تشير إلى تنمية وتبنى سياسات معينة من وجهة نظر السياسى ودفعها لتصبح قوانين للحكم .

وإذا تأملنا حياة الرب يسوع كنموذج لنا ، نراه بكل وضوح لم يشتغل بالسياسة أبداً بالمعنى الضيق للكلمة . فهو لم يعقد اجتماعات سياسية ، ولم يتبن برامج سياسية ، ولم ينظم أو يشكّل معارضة سياسية . لكنه ، بالمعنى الواسع لكلمة سياسة ، أتى إلى العالم لكى يشارك فى حياة المجتمع الإنسانى ، وأرسل رسله إلى العالم لذات الهدف ولنفس الارسالية . كما أنه أعلن عن منظمة اجتماعية مختلفة وجديدة للمجتمع الإنسانى وهى ملكوت الله وتحدى القيم والمستويات السلوكية القديمة . وكانت تعاليمه ، بهذا المعنى الواسع ، ثورة كاملة تحمل انطباعات « سياسية » قوية .

وعلى ضوء هذا المعنى يكون من الواضح أن العمل الاجتماعى المسيحى المخلص – الذى هو رسالة الكنيسة – ينبغى أن يشمل على الخدمة الاجتماعية

وكذلك الخطوات الضرورية التى تتجه إلى العمل الاجتماعى Social Service. فالخدمة الاجتماعية تنحو إلى مجرد تخفيف الألم والمعاناة عن Social Work الإنسان الذى يعيش واقعاً مؤلماً ، أما العمل الاجتماعي فيهدف إلى تغيير هذا الواقع المؤلم نفسه وبالتالى ترفع المعاناة عن الإنسان تماماً . فمثلاً ، حالة العبيد فى الماضى ، لم يكن العلاج الناجح والحاسم لها هو مجرد الخدمة الاجتماعية بين العبيد لتخفيف الألم عنهم ، ولكن الأمر احتاج إلى القوانين أو القرار السياسى الذى يمنع نظام الرق ، وهنا تغير واقع العبيد تماما إذ أصبح لهم ما لغيرهم من حقوق الإنسان فى الحياة الحرة الكريمة . ولنضرب مثلا آخر من حياتنا اليومية ، ففى كل يوم نسمع عن حوادث الطرق التى يذهب ضحيتها العدد الكبير من الناس . وهنا لا يكون العلاج مجرد الخدمة الاجتماعية الطبية الضرورية للجرحى الذين بقوا على قيد الحياة ، أو إعالة الأسر التى نكبت فى القائمين عليها ، مع ما لهذا العمل من إهمية وقيمة انسانية كبرى . لكن العلاج أيضا يكون فى العمل الاجتماعى الذى ينادى بإنارة الطرق ، وبإصدار القوانين الرادعة لمنع ومعاقبة السائقين المخمورين أو المخالفين للوائح المرور ... الخ .

والسؤال الآن ، إن كان هذا هو جوهر العمل الاجتماعى المسيحى المخلص ، فلماذا نجد اهمالا وأحياناً رفضا لفكرة اهتمام الكنيسة بدورها السياسى ، على مدار مراحل التاريخ الكنسى ؟. والاجابة المنصفة لهذا السؤال تجعلنا نذكر بعض الأسباب الرئيسية التى تقف خلف هذا الاهمال أو الرفض ...

١ — فى كل الاوقات التى ركزت فيها الكنيسة نشاطها على اتجاهات سياسية ، كانت تهمل اهتماماتها ورسالتها الكتابية المركزية الشخصية والتى تتمثل فى الفداء وغفران الخطايا ونوال الحياة الجديدة ، والداخلية والتى تتمثل فى الحياة فى المسيح والنمو فى النعمة ، والأبدية والتى تتمثل فى الحياة بعد الموت . والمطلوب الآن من الكنيسة المعاصرة أن لا تكرر أخطاء الماضى . بل يجب أن تركز نظرها باستمرار فى اهتماماتها وأنشطتها على الجنسيتين اللتين تحملهما ، وعلى المملكتين التى نحن مواطنون فيهما .

فنحن ننتمى أولا إلى ملكوت الله ونحن ننتمى ثانيا إلى المجتمع الذى نعيش فيه .

٢ — عندما كانت الكنيسة تركز على الاتجاهات السياسية ، كانت مجربة بأن تساير المجتمع المحيط بها فى آرائه السياسية وسلوكياته وقيمه ، وبالتالى تسقط فى مشاكلة العالم . والكنيسة مطالبة اليوم أن تكون المنارة الموضوعة على الجبل ، الأمة المقدسة ، شعب الرب المفدى الجديد الذى يحيا ويخدم العالم ، على أن لا يدع العالم يشكل حياته ويحكم آراءه وقيمه الروحية المختلفة .

٣ — الذين اهتموا بالمجالات السياسية فى الماضى من الكنيسة وعنها لم يكونوا محترفين أو متخصصين ، ولم تكن لهم الدراسات والقدرات الخاصة بهذه المجالات . ولذلك كانت مساهمتهم سطحية ، ولم يكن لهم الدور المؤثر والفعال ، وعندئذ تركوا انطباعا سيئاً عن دور الكنيسة فى هذه المجالات وعلى الكنيسة الآن إذا أرادت أن تخدم الرب والمجتمع فى المجالات السياسية أن تشجع نخبة من أبنائها ، خاصة الذين لهم هذا الميل ، على الدراسة المتخصصة لهذه الاتجاهات ، حتى يكونوا صورة مشرفة للكنيسة ، ويقوموا بدورهم بكفاءة وفعالية .

٤ — كما أن توقعات الكنيسة المعاصرة مثالية وغير واقعية ، لأنها تنسى الخطية والضعف الإنسانى فى المجتمع . ولذلك عندما تتعامل مع المجتمع وترى عوامل الضعف فى طريقة تفكيره وأنماط سلوكه ، سرعان ما تُصدَم وتنسحب إلى داخل جدرانها وتنعزل عن مجتمعها مرة أخرى .

لذا ينبغى على الكنيسة أن تنظر إلى المجتمع نظرة واقعية ، حتى يمكنها الصمود فى أداء دورها الذى يحتاج اليه المجتمع ، والذى وجدت من أجله .

لهذه العوامل وغيرها نجد حتى الآن الاهمال وأحياناً الرفض لفكرة

اهتمام الكنيسة بدورها السياسى ، والاكتفاء فقط بالجانب الروحى والكرازى من حياة الكنيسة وارساليتها .

من يحمل المسئولية :

على من تقع مسئولية إبراز النماذج والقيم المسيحية فى المجالات السياسية فى المجتمع الإنسانى ؟ وكيف نمارس ذلك عمليا ؟

إن كل فرد مسيحى مدعو لأن يكون نشطا فى مشاركته السياسية ، وفى واجبه الوطنى ، كمواطن صالح يحمل ضميراً حيا فى داخله ، ويحمل بلده على قلبه . عليه أن يستخرج بطاقته الانتخابية ، وأن يشارك مشاركة فعلية فى كل الاستفتاءات والانتخابات التى تعلن عنها القيادة السياسية . خاصة أن القيادة والحكومة تلتزم بنزاهة الانتخابات ، وبالاجراء الموضوعى ، وبالمناخ الديمقراطى السليم ، كما حدث فعلا ، مما كان له الأثر الايجابى الطيب فى رغبة الجماهير على الاقبال الجاد والفعال فى كل عملية انتخابية فى المستقبل .

كذلك على كل مسيحى أن يكوّن رأياً فى كل الموضوعات والقضايا المعاصرة التى تهم البلاد . وأن يشارك فى كل حوار قومى عام . وأن يكتب فى الجرائد اليومية والمجالات متى كان ذلك ممكنا . وأن يكتب للمسئولين فى الموضوعات الهامة التى تهم المجتمع .

ونحن إذ نشجع كل مواطن أن لا يقف موقفا سلبيا من قضايا أمته ، نهيب بالمسئولين فى بلادنا ، على كل المستويات ، أن يشجعوا هذه المشاركة الايجابية للمواطنين عموماً ، بالالتزام الدائم بالجو الديمقطراطى ، وفتح كل وسائل الاعلام وطرق التعبير عن الرأى أمام المواطن ، ودراسة آراء المواطنين وتنفيذ الصالح منها . والنتيجة أننا نضمن تعميق روح المسئولية العامة ، والانتماء ، والمشاركة الحقيقية رأيا وعملا عند الأفراد .

أيضاً قد يدعو الله بعض الأفراد المسيحيين للتفرغ للعمل السياسى ولخدمة المجتمع خدمة متفرغة كاملة . وهنا على هؤلاء الأفراد أن يلبوا صوت الله فى طاعة وقناعة ، وأن لا يهربوا من مسئولية هذا الاتجاه الهام . على أن تكون هذه دعوة الله الفعلية لهم ، وأنهم بهذا الإدراك الواعى الناضج يخدمون الله والوطن . ونحن فى هذا المجال نشكر الله من أجل النماذج المسيحية المباركة التى قدمت فى الماضى ، ومازالت تقدم فى الحاضر ، خدمة أمينة مخلصة لله ولمصر .

وأحياناً يكون على الكنيسة ككل أن تشارك فى هذا المجال ، فهى تقوم بتعليم فكر الله وتقديم إنجيله ، وهى عندما تحمل مسئولية تقديم الإيمان الكتابى ، وبر ملكوت الله ، يتحتم عليها فى بعض المواقف أن تعلن رأيها . فهى ضمير هذا المجتمع ، وهى تؤمن بأن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية (أمثال ١٤ : ٣٤) . ولذلك فالكنيسة مسئولة عن رفعة شأن الأمة بمقدار ممارستها واعلانها عن بر الله فى حياة هذه الأمة . ولقد أبرز عاموس النبى علاقة بر الله فى الحياة اليومية بازدهار ورفعة المجتمع عندما قال : « ليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم » (عاموس ٥ : ٢٤) . وهو هنا يصور البر بنهر تتدفق مياهه من الجبل ، وتندفع جارية إلى الوادى حيث يشرب الناس ، وترتوى الحيوانات ، وتتسع وتزدهر الزراعة ، وهكذا تنتعش أحوال المجتمع ويرتفع شأنه . وقد يكون الجبل مرتفعاً بحيث لا يستطيع الناس تسلقه ليفهموا منابع النهر ، لكنهم يفهمون من خلال النهر ذاته . وهذا ما يحدث فى علاقة الإنسان فى المجتمع بالله ، قد لا يستطيع الإنسان أن يرى الله ، لكنه يدركه من أعماله ومن بره فى حياة الكنيسة ورسالتها . ومن خلال بر الله وأعماله ، يدرك الإنسان طبيعة الله القدوسة والمحبة .

على الكنيسة إذن أن تواجه مسئوليتها فى اعلاء شان الامة باعلان بر الله .

متى نقول لا ؟

ولكن السؤال الآن ، بالنسبة للكنيسة ككل وبالنسبة للمسيحيين كأفراد ،

كيف يكون التصرف عندما تتعارض مواقف المسئولين فى الدولة مع موقف الكنيسة خاصة فيما يتصل بالمبادىء الإيمانية الروحية كما هى معلنة فى كلمة الله ؟

من الطبيعى أن يحدث هذا بين الحين والآخر ، وهنا على الكنيسة بكل وضوح أن تطيع الله أكثر من الناس « فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع . فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا ان كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا . لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا . فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أعمال ٤ : ١٨ — ٢٠ ، ٥ : ٢٩) . « ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى وبخوها » . (أفسس ٥ : ١١) وأن تعلن الكنيسة رأيها من خلال الخبراء المتخصصين والمسئولين فى المجالات المختلف عليها ، ومن خلال القنوات الشرعية للتعبير عن الرأى حتى تساعد الدولة أن ترى الموضوع من كافة جوانبه ، وأن تدرس كل وجهات النظر .

دور الكنيسة كرقيب !

إن الحديث عن الخضوع للسلطات فى رومية ١٣ يفترض أن السلطة صالحة وأمينة وعادلة ، وبالتالى ينادى بالخضوع لها . لانه خضوع « فى الرب » ولكن إذا كان الأمر غير ذلك ، فالكتاب المقدس يعلمنا أن الكنيسة رقيب على السلطة . ونستطيع أن نرى ذلك فى كل مواقف رجال الله فى الكتاب المقدس ، خاصة فى مواقف الأنبياء العظيمة . لقد كانوا رقباء على السلطة عندما تخطىء أو تسىء أو تظلم فوقفوا فى صلابة وقوة وشجاعة نادرة يعلنون الحق . لا يهمهم من قريب أو بعيد المصير الذى سيلاقونه . هكذا كان صوت الرب إلى حزقيال النبى قائلا : وكان إلى كلام الرب قائلا : يا ابن آدم كلم بنى شعبك وقل لهم . إذا جلبت السيف على أرض فان أخذ شعب الأرض رجلا من بينهم وجعلوه رقيبا لهم فاذا رأى السيف مقبلا على الأرض نفخ فى البوق

وحذر الشعب وسمع السامع صوت البوق ولم يتحذر فجاء السيف وأخذه فدمه يكون على نفسه . لو تحذر لخلص نفسه فان رأى الرقيب السيف مقبلا ولم ينفخ فى البوق ولم يتحذر الشعب فجاء السيف وأخذ نفسا منهم فهو قد أخذ بذنبه أما دمه فمن يد الرقيب أطلبه . وأنت يا ابن آدم فقد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل فتسمع الكلام من فمى وتحذرهم من قبلى . إذا قلت للشرير يا شرير موتا تموت . فان لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه فذلك الشرير يموت بذنبه . أما دمه فمن يدك أطلبه . وان حذرت الشرير من طريقه ليرجع عنه ولم يرجع عن طريقه فهو يموت بذنبه . أما أنت فقد خلصت نفسك . (حزقيال ٣٣ : ١ – ٩) . وهكذا كان دانيال أمام نبوخذ نصر « ويطردونك من بين الناس وتكون سكناك مع حيوان البر ويطعمونك العشب كالثيران فتمضى عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلى متسلط فى مملكة الناس وأنه يعطيها من يشاء » . (دانيآل ٤ : ٣٢) . وهكذا وقف إيليا أمام أخآب قائلاً « فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلاً : قم انزل للقاء ملك اسرائيل الذى فى السامرة . هوذا هو فى كرم نابوت الذى نزل اليه ليرثه . وكلمه قائلا : هكذا قال الرب هل قتلت وورثت أيضاً . ثم كلمه قائلا : هكذا قال الرب . فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضاً . فقال أخآب لايليا هل وجدتنى يا عدوى . فقال قد وجدتك لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر فى عينى الرب هأنذا أجلب عليك شراً وأبيد نسلك وأقطع لأخآب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق فى اسرائيل وأجعل بيتك كبيت برك ام بن نباط وكبيت بعشابن أخيا لأجل الإغاظة التى أغظتنى ولعجلك إسرائيل قائلاً ان الكلاب تأكل ايزابل عند مترسة يزرعيل . من مات لأخآب فى المدينة تأكله الكلاب ومن مات فى الحقل تأكله طيور السماء» .. (١ مل ٢١ : ١٧ – ٢٤) وهكذا كان ناثان النبى أمام داود قائلاً : « فقال ناثان لداود أنت هو الرجل . هكذا قال الرب اله اسرائيل . أنا مسحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنك وأعطيتك بيت اسرائيل ويهوذا وان كان ذلك قليلا كنت أزيد لك كذا وكذا . لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه . قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك

امرأة واياه قتلت بسيف بني عمون . والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريا الحثي لتكون لك امرأة » . (٢ صم ١٢ : ٧ – ١٠) .. بل وهكذا كان المعمدان يقف أمام هيرودس الطاغية قائلا له « لا يحل لك » ... الخ . وهكذا ينبغي على الكنيسة فى كل عصورها أن تكون دائماً الرقيب الذى يقف ساهراً على مرصده يراقب ما يجرى حوله ، وتعلن الحق بكل الثبات الذى يمليه عليها الضمير المسيحى الحر الذى يحمل أمانة كلمة الله .

لمــاذا العنــاء ؟

ربما يقول البعض لماذا ندخل كمسيحيين فى هذه المجالات أساساً ؟ حتى يتحتم علينا مواجهة متاعب الاتفاق والاختلاف ؟ ولماذا نتجشم كل هذا العناء ؟ والاجابة البسيطة هى أنه يوجد موقفان فقط لا ثالث لهما ، بالنسبة لنا كمسيحيين فى مواجهة دورنا فى العالم . وعلينا مسئولية الاختيار وتحدى اتخاذ القرار . الموقف الأول هو الهروب من المسئولية ، والبعد عن القيام بدورنا فى المجتمع وأن نغسل أيدينا مثل بيلاطس البنطى الذى كان مدركا كل الإدراك للاتجاه الخاطىء فى مسألة صلب يسوع لكنه لم يفعل شيئاً عمليا فى الاتجاه الصحيح ، لقد اكتفى بغسل يديه فقط . أما الموقف الثانى فهو الاندماج الواعى فى العالم ومواجهته عند الاختلاف لا بالعنف أو روح التعصب والطائفية ولا بالسلبية العاجزة بل بكل الحب والعطف ، وبالعمل المنتج الخلاق . باعطاء نفوسنا لخدمة هذا المجتمع . فكلما امتلأت قلوبنا بالحب العميق للرب ، كلما تعمق اهتمامنا بهذا العالم وبخدمته . وإذا لم نفعل ذلك وغسلنا أيدينا من خدمة مجتمعنا ، نكون قد أغلقنا آذاننا عن صوت الله الذى يدعونا إلى اقتحام هذا العالم الضائع المعذب لنحيا فيه ونحبه ، ولنشهد له ونخدمه ، كما فعل الرب يسوع ولأجله .

إن كل أسلوب حياة المسيحى ينبغى أن يشكل بالاعتقاد الراسخ ، أنه كما

أرسل الآب ابنه إلى العالم هكذا ينبغى أن تكون ارساليتنا إلى العالم . وارسالية المسيح كانت للخدمة والألم والموت من أجل العالم . وهكذا يجب أن تكون ارساليتنا نحن . وهنا علينا أن نصغى إلى صوت الرب يسوع وهو يقول « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا » (اقرأ فيلبى ٢ : ٣ – ٨ ، يوحنا ١٥ : ١٣ ، يوحنا ١٢ : ٢٤ – ٢٥ ، مرقس ١٠ : ٤٥).

أنا والكنيسة والمجتمع

دراسة لبعض الاسئلة المعاصرة :
هل من لزوم للكنيسة ؟
وما دور الكنيسة العمل فى المجتمع ؟
وهل يتناقض العمل الاجتماعى مع
الايمان المسيحى والكنيسة ؟
وهل أستطيع المشاركة فى
العمل السياسى فى المجتمع ؟
دراسة منطقية كتابية مقنعة

